روايات مصرية للجيب

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

سحابة الموت

16

رءوف وصفي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرّك بجلال وخلود ..
وحتى نتمكّن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم تكن نصدّقه من قبل ..
أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوّعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوّامة الكونيّة ..
يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..
علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..
يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..
نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..
علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..
أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..
على أفكارنا أن تمرّق بسرعة الضوء الهائلة ..
عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..
فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصوُّر لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسمّيه الكوْن ..
فمهما ترنّمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..
أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..
كل هذا يتبدّد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروْعة الكوْن ..
ويخضع العقل الإنسانى للقُدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..
ويستسلم تمامًا فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرّة فى الكوْن ..
وأيضًا للأسرار التى تهبط إلينا فى توُدَة ..
وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

سحابة الموت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

سحابة الموت ..

حدقنا فى الرئيس .. عبر المكتب البيضاوى المعدنى .. لعدة لحظات ..

قبل أن أقطع الصمت قائلا :

ـ لكن هذا لا يصدق ! لابد أن هناك خطأ ما يا سيدى ! لا يوجد شىء فى المجرة .. يمكن أن يسبب أمرا كهذا !

هزت (شيرين مجدى) رأسها .. وكذلك فعل (سامى زكى) .. وهما بجوارى ـ أنا الكابتن (عادل أشرف) ـ علامة الموافقة على ما قلت ..

لكن رئيس شرطة المجرة .. قال مؤكدا :

ـ مع ذلك فإن شيئا ما يحدث فى مركز المجرة .. ولابد له من سبب يا كابتن (عادل) ! وهذا الشىء قد أطاح بعشرات من السفن الفضائية فى الأيام القليلة الماضية .. دون أن يترك لنا أى دليل على السبب وراءه !

رددت قائلا ببطء :

ـ إننى لا أشك فيما تقول يا سيدى ! لكنه يبدو مستحيلا !

كنا نحن الأربعة جالسين فى حجرة صغيرة ذات جدران معدنية .. ينفذ من خلال نوافذها الضوء الأحمر لنجم (إبط الجوزاء) .. الشمس التى نعيش على كواكبها ..

كانت الحجرة جزءا من مقر قيادة شرطة المجرة .. التى وصلنا إليها من كوكب الأرض .. فى سفينتنا الفضائية (الشهاب) ..

وقد تم استدعاؤنا على وجه السرعة .. لمحاولة الكشف عن ذلك الأمر الرهيب الغامض .. الذى يحدث فى مجرتنا (الطريق اللبنى) !

ـ ١ ـ

أخذ رئيس شرطة المجرة ينظر بإمعان شديد خارج النافذة العريضة .. عبر الكوكب المزدحم بالسكان .. ثم استدار وواجهنا مرة أخرى .. وفى عينيه نظرات غريبة :

ـ سوف أشرح لكم الموقف كله .. إذ من الضرورى أن يفهم ثلاثتكم كل هذا كما تعلمون فإن مجرتنا (الطريق اللبنى) .. عبارة عن حشد من النجوم السابحة .. فى محيط الفضاء الواسع ..

مائة الف مليون نجم .. بكواكبها وشعوبها .. وبالطبع فإن كل هذه الشموس الجبارة .. يديرها ويشرف عليها .. المجلس الأعلى للمجرة .. كما يتم توفير أمنها وحراستها .. بوساطة شرطة المجرة .. مما أدى إلى رواج وانتشار التجارة .. بين هذه النجوم منذ عصور بعيدة .. إذ تنتقل آلاف لا تحصى من سفن الفضاء الضخمة .. بين كواكب شموس مجرتنا .. بدون أى عقبات ..

لكن الآن تعرضت هذه الحركة التجارية الهائلة بالمجرة .. لخطر داهم ! وهذا الخطر يكمن فيما نسميه دائما .. (سحابة الموت) !

وهى سحابة جبارة من الظلام التام .. توجد بالقرب من مركز المجرة .. وكانت دائما فى هذا المكان .. مساحة هائلة من الظلمة المطلقة .. يبلغ قطرها عشرات السنوات الضوئية .. والتى تمكن علماء الفلك عندنا .. من القول بشكل مؤكد .. وقاطع .. بأنها منطقة كونية غريبة .. لاتوجد فيها أى ذبذبات ضوئية .. ولا يمكن

لأى سفينة فضائية أن تجازف بالدخول .. إلى هذه السحابة الغامضة .. بدون أن تغوص فى أعماق انعدام الوزن التام .. حتى أن أحدا لايدرى قط .. ما الذى يمكن أن يحدث داخلها ..

وصحيح أنه منذ عدة سنوات .. جازف أحد علماء المجرة .. واسمه الدكتور (كاتو) .. من كوكب (فيجا) .. بالدخول إلى سحابة الموت لاكتشافها .. فى سفينة فضائية بها بعض مساعديه ..

وكان لهذا العالم الفذ .. نظرية فلكية جديدة .. خاصة بالسحابة السوداء .. وأراد أن يتحقق من صحتها .. لكنه لم يخرج منها أبدا ..

ولا شك أن مصيره كان الموت .. كما حدث لسفن فضائية كثيرة .. فى السنوات الماضية !

ومنذ ذلك الوقت .. لم يحاول أحد اختراق السحابة العملاقة .. كما أن سفن شرطة المجرة .. تمر دائما بعيدا عنها .. حتى لاتتعرض للمخاطر ..

لكن فجأة .. منذ خمسة أيام بتوقيت الأرض .. سحبت عشرات من السفن الفضائية المارة .. بالقرب من سحابة الموت .. بتأثير قوة جبارة .. لا تقاوم !

ووصلت إلى أجهزتنا للاستشعار عن بعد .. استغاثات هذه السفن ..

ومن ثم انطلقت عدة فرق من شرطة المجرة .. إلى حافة السحابة .. لتقصى الأمر .. لكنها وجدت أن مجموعات السفن الفضائية البائسة .. اختفت داخل السحابة .. ثم لم تلبث استغاثاتها أن توقفت .. ولم تلاحظ أى آثار لهذه القوة الغامضة .. التى سحبت السفن بعنف .. إلى الموت !

ـ ٢ ـ

تريث رئيس شرطة المجرة للحظات .. ثم استطرد قائلا :

ـ ولذلك أصدرنا تحذيرات فورية ..

فأرسلنا إلى جميع السفن الفضائية .. التى تعمل بين نجوم المجرة .. لكى تتجنب المرور بالقرب من هذه السحابة السوداء ..

وعندئذ انطلقت سفن شرطة المجرة .. واستطلعت كل المنطقة التى حولها .. لعدة أيام متواصلة .. ولكنها لم تجد أى شىء غير عادى ..

وأخيرا .. اقتنعنا بأن ما حدث .. كان دوامة كونية هائلة .. مفاجئة .. ابتلعت السفن الفضائية إلى داخلها .. وأصدرنا أوامرنا بالاطمئنان تماما .. إلى أمان المرور الفضائى حول السحابة الغامضة ..

وبعد فترة قصيرة .. تكرر اختفاء السفن فى تلك الدوامة الكونية .. بقوة جبارة .. رهيبة ..

لكن هذه الكارثة الأخيرة .. أحدثت رعبا حقيقيا فى كافة أرجاء مجرة (الطريق اللبنى) .. وأصدر المجلس الأعلى للمجرة .. أوامره بإيقاف الرحلات الفضائية بالقرب من السحابة .. حتى يتم استقصاء الأمر تماما .. ومعرفة السبب الغامض ..

ونظرا لوجود تلك السحابة السوداء .. فى مركز المجرة تقريبا .. فإن ذلك يعنى الإضرار بالتجارة الفضائية بين النجوم .. وتعرضها للشلل ! ودائما فى أوقات الشدة العصيبة .. فإن شعوب المجرة تلجأ لشرطة المجرة .. لإنقاذها .. وهم يطلبون منا الآن .. وضع نهاية لهذا التهديد الرهيب .. ومعرفة سر سحابة الموت !

* * *

توقف رئيس شرطة المجرة للحظة ..

وعندئذ وقف ثلاثتنا على أهبة الاستعداد .. وسألته (شيرين) بهدوء :

ـ متى نبدأ رحلتنا إلى السحابة يا سيدى ؟

ابتسم الرئيس وقال لها :

ـ لقد صدق ظنى ! إننى أستطيع الاعتماد عليكم .. إذ إنكم أنقذتم هذه المجرة ذات مرة .. عندئذ انطلقتم بجسارة إلى أعماق الكون .. إلى مجرة (أندروميدا) لقتال تلك الكائنات الغريبة .. التى أرادت غزو المجموعة الشمسية ! ولذلك فإننى أسألكم أن تجازفوا مرة أخرى لصالح مجرتنا (الطريق اللبنى) .. وأن تحاولوا معرفة سر هذه القوة .. التى تجتذب عشرات السفن

الفضائية .. إلى داخل ظلام السحابة الكونية ..

وأنا لا أريد المخاطرة بإرسال عدد من سفننا إلى هناك .. إذ سوف نفقدها جميعا مثل غيرها .. وفى نفس الوقت .. لن أعطيكم أمرا بالذهاب .. لأن ذلك معناه الموت المحقق لكم .. إذا انطلقت إليكم هذه القوه المجهولة مرة أخرى .. وجذبتكم إلى داخل سحابة الموت !

فما رأيكم ؟

أخذ رئيس شرطة المجرة ينظر إلينا بثبات .. لكن عينى كانتا على عداد الزمن فوق معصمى .. وكل ما قلته له :

ـ يجب أن نصل إلى حافة السحابة السوداء .. فى غضون عشر ساعات .. وسوف نبذل كل جهدنا .. لمعرفة السر الرهيب !

ـ ٣ ـ

بعد عدة دقائق كانت سفينتنا الفضائية (الشهاب) .. ترتفع لأعلى بسرعة خارقة .. بعيدا عن كوكب نجم (إبط الجوزاء) ..

وكنت أجلس بجانب (شيرين) فى غرفة التحكم والقيادة ..

وكان (سامى) فى غرفة الطاقة النووية .. إذ كانت سفينتنا تعمل بوقود الاندماج النووى ..

سرنا فى وهج الشمس الضخمة القرمزية ..

عملاق أحمر ..

ثم شققنا طريقنا خلال أعداد كبيرة من السفن الفضائية التجارية .. حتى أصبحت سرعتنا مروعة تفوق التصور .. خلال الظلام الكئيب للكون .. ولا يوجد حولنا سوى شموس المجرة ..

وبعيدا أمامنا ظهر شيء ما .. بيننا وبين النجوم البعيدة .. بدا كبقعة سوداء صغيرة فى حشد النجوم ..

إنها السحابة الكونية الجبارة .. ذات الظلام المطلق .. والتى سحبت عشرات السفن إلى قلبها .. حيث لاقت مصيرها المجهول ! والتى كان علينا اكتشاف سرها ..!

وبينما أخذ هيكل سفينتنا يرتعد قليلا .. والمولدات النووية تصدر طنينا عاليا .. ونحن متجهين إلى تلك البقعة المظلمة .. الغامضة ..

* * *

وعندما اقتربنا من حافة سحابة الموت .. أظهر لنا الكمبيوتر وأجهزة الاستشعار عن بعد .. أنه لا توجد أى سفينة فضاء أخرى .. حولنا .. إذ كانت كلها تهرب من الخطر الداهم ..

لكن سفينتنا واصلت انطلاقها بثبات .. وبدأت الرقعة السوداء الواسعة .. تزداد حجما فى القبة السماوية أمامنا ..

وأخذت أنا و(شيرين) فى إعداد أجهزة الاستشعار عن بُعد .. التى كان نجاح مهمتنا يعتمد عليها ..

كانت عبارة عن أجهزة ومعدات حساسة تعمل بالرقاقات البيولوجية .. وتتصل بمولدات أشعة الليزر .. مثبتة على هيكل السفينة من الخارج .. لتسجيل جميع التيارات والقوى والاضطرابات والظواهر .. التى تعمل حول سفينتنا .. وكذلك كافة القوى الكهرومغناطيسية .. والإشعاعية .. وظروف الضغط .. ودرجات الحرارة ..

وكان علينا اكتشاف تلك القوى الجبارة الغامضة .. التى دمرت هذا العدد الكبير من السفن الفضائية ..

ومن خلال شاشات الكمبيوتر المجسمة .. أخذت أراقب أنا و(شيرين) .. تلك السحابة الهائلة وهى تزداد حجما .. وكثافة .. كلما اقتربنا منها ..

وسرعان ما بدت كستارة سوداء هائلة .. تشق أعماق الكون .. وتحجب نصف شموس المجرة .. عن الرؤية .. وتمتد من جميع الاتجاهات إلى آلاف الملايين من الكيلومترات ..

قالت (شيرين) :

ـ إننا على مسافة ثلاثة ملايين كيلومترًا من حافة السحابة السوداء .. ما هى الأوامر ؟

قلت لها :

ـ استديرى يمينا .. وانطلقى بأقصى سرعة على طول الحافة .. وسوف أقوم بإجراء حسابات الزاويا .. وسأحيطك علمًا عندما يلزم تغيير الاتجاه أو السرعة !

وفى اللحظات التالية شاهدت على شاشة الكمبيوتر .. السحابة العملاقة تنزلق جانبيًا .. بينما سفينتنا تدور فى الفضاء .. لكى تنطلق بمحاذاة الحافة ..

وأخذت أسجل قراءات الكمبيوتر .. فى أثناء تحرك سفينة الفضاء ..

* * *

كانت كل الظروف فى الخارج .. تبدو عادية .. فلا توجد أى تيارات قوية .. أو عواصف دوامية .. فى أى مكان فى الكون .. بالقرب منا ..

ولأكثر من ساعة..بينما كانت (شيرين) تقود سفينة الفضاء.. فى مسار ثابت..واصلت ملاحظة العدادات الإلكترونية..لكن بدون أى نتيجة.
التفتّ من الأجهزة إلى شاشات الكمبيوتر .. ثم هززت رأسى وقلت :
ـ (شيرين) ! إننى أخشى ألا يكون هناك جدوى من كل ذلك .. إن فرصتنا ضئيلة حقا فى اكتشاف أى شىء بهذه الطريقة .. وأظن أننا فشلنا فى تحقيق هدفنا .
نظرت بإمعان إلى صورة الجدار المظلم الهائل وقالت :
ـ ومع ذلك فهذه هى فرصتنا الوحيدة لنعرف أى شىء !! فربما يمكننا اكتشاف أمر ما .. فى الجانب الآخر من السحابة السوداء !
قلت لها موافقًا :
ـ حسن ! سوف نجرب ذلك ! لكننى لا أظن أن ذلك سيفيدنا كثيرًا .. ومهما كانت حقيقة السحابة .. فإنها سببت هذه الـ .....
ولم أكمل عبارتى .. إذ فجأة حدث أمر عجيب !

ـ ٤ ـ

فقد وجدت نفسى مندفعًا بقوة خارقة .. من جانب غرفة القيادة إلى جانبها الآخر .. مصطدمًا بأحد جدرانها المعدنية ..
وأطيح (بشيرين) مثلما حدث لى تمامًا ..
وشهدت اللحظات التالية .. دورانا سريعًا جنونيًا .. لجدران غرفة القيادة حولنا .. وصدرت صيحات (سامى) من غرفة الطاقة النووية .. بينما دوى فى جميع أرجاء سفينة الفضاء ..
طنين مخيف .. كما لو كانت تلف حول نفسها بسرعة هائلة .. تحت تأثير قوة رهيبة .. غامضة .. لا نعلم عنها شيئًا !

* * *

وبرغم إصابتى بكدمات .. وفقدانى لنصف وعيى .. فقد بقى

لى من العقل .. ما يكفى للتشبث بأحد الأجهزة الثابتة بغرفة القيادة .. عندما وجدت نفسى مندفعًا نحوه ..
بذلت جهدًا خارقًا للنهوض .. حيث لمحت (شيرين) منبطحة على أجهزة القيادة .. بينما ما زالت الغرفة تدور بسرعة رهيبة ..
صحت قائلا :
ـ إنها القوة الجبارة التى أخبرونا بها .. إنها تجذبنا إلى داخل سحابة الموت !!
بدا أن كآبة الفضاء الخارجى حولنا .. تكمن فى ذلك الخوف الذى تسلط علينا للحظات .. عندما شاهدنا على شاشات الكمبيوتر.. أن سفينتنا تتجه بسرعة خارقة .. إلى منطقة الظلام الواسعة .. وأننا لم نكن نستطع السيطرة عليها !
صرخت قائلا :

ـ (شيرين) ! استديرى بأقصى طاقة ! وحاولى إخراج السفينة من هذه المصيدة المروعة !

ردت علىَ (شيرين) بصوت مفعم بالانفعال :

ـ لا أستطيع ! لقد شغلت كل المولدات النووية بأقصى قدرة ! لكن السفينة لا تستجيب ! هناك قوة مغناطيسية جبارة داخل السحابة .. تشدنا إليها !

ومع كل لحظة تمر .. كان جدار الظلام الهائل .. ـ الذى بدا واضحًا لنا كما لو كان مادة صلبة ـ يقترب كالشبح من سفينتنا الدوّارة ..

وبينما كانت (شيرين) تعمل بعصبية شديدة .. على الأجهزة والمعدات الإلكترونية للقيادة

وفى أثناء وصول صيحات (سامى) إلينا من غرفة الطاقة .. أمسكت بأجهزة الاتصال الليزرى .. أحاول أن أبلغ مركز قيادة شرطة المجرة .. عن طبيعة القوى المجهولة .. التى أمسكت بتلابيبنا ..

لكن الأجهزة لم تكن تعمل ... بعد أن أثرت عليها القوة المغناطيسية المروّعة .. التى تجذبنا بلا رحمة .. إلى نهايتنا المحتومة !

فى ذلك الوقت .. كانت السحابة الضخمة .. عبارة عن منظر مروّع أمامنا .. كفم مظلم واسع .. وكانت سفينتنا (الشهاب) منطلقة إلى داخله .. بسرعة رهيبة ..

فجأة .. انخفض دوران السفينة قليلاً .. وصرخت قائلا :

ـ (شيرين) ! حاولى مرة أخرى فى تشغيل أقصى قدرة !

ولكن كان ذلك دون جدوى .. إذ لم يكن بوسع أى شىء أن يفلت من القبضة الفولاذية للقوة .. التى كانت تسحبنا بجنون ..

وبعد لحظات .. كان الظلام قد غلف تماما القبة السماوية .. التى أمامنا مباشرة .. ودفعنى شىء ما إلى الالتفاف لكى أنظر خلفى .. من خلال النافذة العريضة الشفافة .. تجاه شموس المجرة المتلألئة .. كما لو كنت أنظر إليها للمرة الأخيرة !

وبمجرد أن استدارت .. كنا قد غرقنا فى الظلمة الداهمة .. سواد مطلق .. لا يوجد فيه أدنى شعاع ممكن للضوء !

تحسست طريقى فى الظلام الدامس .. إلى مفتاح الأنوار الداخلية فى سفينة الفضاء .. وبرغم أنه تحرك بين أصابعى .. إلا أن الضوء لم ينبعث أبدًا .. كما لو أنه لم يوجد قط .. فى هذه المنطقة المروّعة .. من الكون !

ودلنا ارتعاد السفينة المستمر .. على أنه برغم انطلاقنا بسرعة هائلة .. إلا أن شيئا ما كان يشدنا إلى قلب السحابة الكونية ..

* * *

استمر اندفاعنا إلى الأمام ..

تشبثت أنا و(شيرين) بأجهزة غرفة القيادة .. ووضع كل منا يده على كتف الآخر .. ونحن ننظر خلال الظلام المطبق .. الذى لا يمكن لعين أن تخترق حجبه ..

وأظن الآن أنه فى تلك اللحظات الرهيبة .. كنا ننتظر فى صمت

تام .. وعجز كامل .. النهاية المحتومة ..

وحتى لو أمكن لسفينتنا أن تحرر نفسها .. من القوة الرهيبة التى أمسكت بنا .. لما أمكن لنا أن نهرب من هذه المنطقة حالكة الظلام .. وإنما كنا سوف ننطلق فيها .. كالعمى لا نلوى على شىء !

* * *

واصلت السفينة انطلاقها تجاه قلب السحابة الرهيبة .. بسرعة كبيرة ..

وبدا لى أننا قريبون جدا من مركزها .. وسيطر علينا فى تلك اللحظة توقع قلق لما قد يئول إليه مصيرنا ..

وفجأة صرخنا جميعا فى نفس الوقت .. عندئذ صدر من خارج سفينة الفضاء .. صوت صفير قوى ..

أنها الآن تندفع خلال الهواء ..

تخترق أجواز غلاف جوى !!

ـ ٥ ـ

فى نفس اللحظات أدركنا أن السفينة تقلل من سرعتها الجبارة .. وأن القوة المغناطيسية الهائلة التى سحبتها إلى الداخل .. اختفت تماما !

وأصابتنا جميعا دهشة بالغة .. لهذين الحدثين .. بحيث لم نلتفت إلى ما عداهما ..

فهل يوجد هنا كوكب فى قلب سحابة الموت .. تسير الآن سفينتنا خلال غلافه الجوى ؟!

كادت قلوبنا أن تتوقف عن الخفقان .. إذ سمعنا صوت صرير خفيف .. على الجانب الخارجى للسفينة .. أعقبه سلسلة من الأصوات التصادمية القوية .. عند المقدمة ..

ثم ساد صمت لوهلة قصيرة ..

بينما أصخنا السمع فى الظلام الدامس بغرفة القيادة ..

وفجأة أتى إلى آذاننا صوت رنين معدنى .. وصفير مصاحب لقوة من نوع غريب !

صحت قائلا :

ـ هناك سفينة فضائية أخرى فى الخارج ! وأفرادها يحاولون اقتحام سفينتنا !

صرخ (سامى) وهو يندفع من غرفة الطاقة :

ـ الباب العلوى ! إنهم سوف يدخلون علينا منه !

وعلى الفور سمعنا رنين فتح الباب ..

وعندئذ اندفع تيار شديد من الهواء البارد .. إلى داخل السفينة ..

صرخت بقمة انفعالى :

ـ هيا بنا إلى الباب العلوى ! يجب أن نمنعهم من الدخول .. أيا كانوا !

بينما كنا نتحدث ونحن نصرخ .. اندفعنا خارجين من غرفة التحكم والقيادة .. ولم نلبث أن ارتطمنا بالجدران والأبواب والأجهزة .. وسط هذا الظلام الدامس .. ونحن ننطلق تجاه الممر الذى يفتح عليه الباب العلوى ..

وبمجرد أن اقتحمت الممر .. اصطدمت فى الظلام وجها لوجه .. مع كائن ما !

مخلوق طويل .. وضخم .. بدا ملمسه لى كلحم بارد ..

وفى الحال .. اندفع منه ما يشبه الذراعين الرخويين .. أمسكا بى بقوة ..

قاومت .. وضربت بشدة .. فى الظلام .. وأنا فى حالة من الرعب المميت ..

لكن بعد أن استطعت الإطاحة بهذا الكائن .. بعيدا عنى .. بدأت أعداد كبيرة من الكائنات تحدق بى ..

كانت تنهمر فى الممر من الباب العلوى بأجسادها الرخوة .. الباردة .. قادمة من خارج السفينة .. بالعشرات ..

لهذا أحكمت قبضتها علينا .. أنا (وشيرين) و (سامى) .. بينما كنا نضربها .. ونحاول إبعادها عنا .. بجنون ..

قاومت هذه الكائنات الغريبة بكل قوتى .. وكان لى قبل ذلك تجارب شرسة فى القتال العنيف .. فى ثلاثة كواكب بالمجرة ..

لكننى لم أشترك قط فى قتال أشد رعبا من هذا .. إذ كنا نتصارع فى ظلام دامس .. بحيث لم نتمكن من أن نرى أقل لمحة .. من المخلوقات التى نقاومها !

وكل ما أدركناه ـ عن طريق اللمس فقط ـ أنها كائنات غريبة .. لم نتعامل مع مثلها أبدا من قبل !

* * *

كانت هذه المخلوقات ترسل صفيرا مميزا .. يشبه نغمات الناى .. من أحدها للآخر .. بينما كانت أذرعها الرخوة .. الخفاقة .. تمسك وتتشبث بنا .. بقوة ..

بدت لى النغمات غريبة .. لا تتفق أبدا .. مع جلبة وضوضاء المعركة ..

وكان غريبا أن هذه الكائنات تتحرك فى الظلام بسهولة ويسر .. مثلما نفعل نحن بالضبط فى الضوء ! وهذه الحقيقة أعطتها ميزة هائلة علينا .. ولهذا السبب تمكنت من دحر هجومنا القوى ضدهم .

وبينما كانت عدة كائنات تشل حركتى .. سمعت نداءات

(شيرين) و(سامى) .. وأدركت أننا جميعا .. أصبحنا لا حول لنا ولا قوة .. وأن الكائنات تمكنت منا !

لقد أسرت كائنات الظلام سفينتنا الفضائية (الشهاب) ..

وبينما كانت تمسك بنا .. دفعتنا كالقطيع تجاه طرف الممر .. ثم أطلقتنا ..

وبمجرد أن خطوت خطوة فى الظلام .. أبحث عن أحد الأبواب .. توقفت بعد لحظة واحدة .. إذ وصل إلى سمعى فى الظلام .. صوت طنين مميز ..

وفى نفس الوقت .. سرى فى جسمى ألم مخيف .. فظيع .. كادت تتقطع منه أوصالى ..

ترنحت إلى الخلف .. بضعف .. ثم توقف الطنين .. وزال معه الألم ..

أما (شيرين) و(سامى) اللذين اعتقدت أنهما ربما استطاعا .. الهروب فى الظلام .. فقد حدث لهما نفس ما حدث لى .. وترنحا معى إلى الوراء .. فى ذهول ..

كان واضحا أن الكائنات المجهولة تدرى بطريقة ما .. بكل خطوة أو حركة نقوم بها فى الظلام .. وأن الطنين الذى كنا نسمعه .. كان سلاحا لدى هذه الكائنات .. يحدث تلك الآلام الفظيعة ..

وعرفنا فيما بعد .. أنه سلاح يولد تيارات كهرومغناطيسية فى الجهاز العصبى .. وهذا السلاح العجيب .. يحدث آلاما فى كل عصب من أعصاب الجسم .. وخاصة فى الألياف العصبية

الحركية.. الصادرة من الحبل الشوكى ..!

وكان واضحا أننا لن نفلت من قبضتها فى الظلام .. ولذلك ظللنا متجمعين عند طرف الممر .. وسمعنا الأصوات الشبيهة بنغمات الناى .. التى تطلقها هذه الكائنات الغريبة .. لتنادى أفرادها ..أو يتحدث مع بعضها البعض .. عبر ممرات سفينة الفضاء ..

وبعد عدة دقائق ... بدأ خفقان مولدات السفينة .. وصفير الهواء خارجها .. إذ أخذت تتحرك فى الفضاء ..

أصخنا السمع فى رعب ..

همست (شيرين) فى حيرة :

ـ هل هذه كائنات الظلام التى تعيش فى سحابة الموت ؟

أجبتها بسرعة :

ـ أظن ذلك ! لابد أن هناك فى مكان ما .. يوجد كوكب نتحرك الآن .. خلال غلافه الجوى .. والكائنات تأخذنا على سطحه !

صاح (سامى) متسائلا :

ـ هل يوجد كوكب فى هذا الظلام السرمدى ؟ كيف يمكن لهذه الكائنات أن تعيش وتتحرك فيه ؟

قلت مترددا :

ـ لا أحد يدرى ! لكن الواضح أن الكائنات جذبت عشرات وربما مئات من سفن المجرة إلى داخل السحابة .. كما فعلت مع سفينتنا .. لأسباب مجهولة !

مرت دقائق وسفينتنا تخفق .. وهى تشق طريقها وسط الظلام

الرهيب .. ثم تناقصت سرعتها بسرعة .. وهبطت بخفة فوق سطح صلب ..!

وفى الحال انفتحت الأبواب التى كانت مغلقة .. وساقتنا الكائنات كالقطيع .. مستخدمة أسلحتها المسببة للألم .. إلى خارج الممر .. ثم إلى سطح الكوكب .. الصلب .. المرصوف .. الناعم ..

كان كل ما حولنا ظلام مطبق .. ولكننا شعرنا بوجود هواء يصلح للتنفس .. وهكذا أصبحنا أسرى .. فى قلب سحابة الموت !

- ٦ -

كنا نتحرك كالعميان تمامًا .. بينما تسيطر علينا الكائنات الغريبة .. بلمساتها أو نبضاتها .. أو أسلحة الألم ! وكنا نسمع جلبة مختلطة من أصوات النای .. لأعداد كبيرة من الكائنات التى تروح وتغدو حولنا .. وخطواتها الزاحفة .. المتغيرة .. يرن صداها فى كل مكان ..

وعندما مددت يدى إلى الامام .. تأكدت أننا نسير على طول سلسلة من المبانى .. ذات جدران ملساء .. وأبواب واسعة .. ومنها وصلتنا قرقعات .. وصلصلة آلات تعمل فى الداخل ..

كان واضحا أننا أخذنا إلى داخل مدينة كبيرة .. تمتلئ بكائنات الظلام .. التى تسير وكأن ضوء الشمس يغمر المكان ..

ثم بعد أن مر بعض الوقت .. بدأت أفهم .. كيف تتحرك هذه الكائنات بثقة فى الظلام ..

وهمست لـ (شيرين) و (سامى) :

- إن الكائنات تستخدم حاسة السمع القوية لديها .. وهى تسيطر علينا وتوجهنا عن طريق صوت وقع أقدامنا فقط !

ثم تساءلت :

- ... هل يمكن لأى جنس من الكائنات أن يعيش .. ويزدهر هكذا .. وينشئ مدنا وحضارة .. فى ظلام السحابة السوداء .. لمجرد اعتماده على الذبذبات الصوتية ؟

دلفنا مرتين إلى اليمين ... وثلاث مرات إلى اليسار .. كما لو كانت الكائنات تتبع مسارا معينا .. خلال طرقات المدينة المظلمة ..

وذات مرة عندما لمستنى بأذرعها الخفاقة .. لجعلى ألف مرة أخرى .. أسأت فهم اللمسة .. وأخذت خطوة إلى اليمين .. بدلا من اليسار ..

وفى الحال سرت رعدة فى أعصابى كلها .. وكاد حبلى الشوكى أن يتحطم ! إثر انبعاث صوت طنان بجوارى مباشرة ..

وكانت هذه الرعدة مؤلمة للغاية .. وغير متوقعة .. لدرجة أننى فعلت مالم أكن سوف أجرؤ على فعله أبدا ..

درت حول نفسى .. واندفعت فى الظلام .. مهاجما الكائن الذى خلفى .. بكل قوتى الهائجة ..

أخذت قبضة يدى طريقها .. بضربة كاراتيه (بنج تشوان) إلى داخل الجسد الهلامى الضخم .. البارد .. لكائن الظلام ..

وشعرت أنه طرح أرضا إلى الخلف .. من أثر الصدمة .. وسمعت طنينه يتوقف .. والألم يتلاشى من جسدى .. بينما قرقع

السلاح الذى كان مع هذا الكائن .. فوق الطريق المرصوف ..

وعلى الفور صدرت الصرخات التى تشبه نغمات الناى .. من الحراس الآخرين ..

وسمعت خطوات مضطربة .. تندفع تجاهى خلال الظلام ..

استسلمت لغريزتى .. ودفعت نفسى بعيدا عن طريق الكائنات .. وركضت كالمجنون الأعمى .. بينما صيحات الكائنات .. الحادة .. تتابعنى ..

ثم سمعت أصوات جر أقدام .. وطنين الكثير من أسلحتها .. وصيحات الألم .. فأدركت أن (شيرين) و (سامى) حاولا الإفلات .. أيضا .. لكنهما فشلا فى ذلك !

ثم انطلقت كائنات الظلام ورائى .. بخطوات سريعة ..

ركضت إلى الأمام بكل قوتى .. واصطدمت بكائن ضخم ثم آخر ..

وعندما هربت بعيدا عنهما .. أدركت أننى فى هذا العالم المظلم الأبدى .. أعانى قصورا رهيبا عند محاولة الهرب .. من مخلوقات الظلام التى تطاردنى ..

وكانت صيحات الكائنات تدوى بطول الطريق الآن .. وبدا أنها عبارة عن نداءات إنذار تنتشر بسرعة عبر أرجاء المدينة ..

وعندما أخطأت مرة أخرى .. واصطدمت بكائن ضخم .. حاولت ذراعاه الخفاقتان .. أن تقبضا علىّ .. وعندئذ أدركت أننى لن أتمكن من الهروب .. من هذه الكائنات التى كانت معتادة على الظلام تماما .. واستسلمت لغريزتى مرة أخرى .. وشعرت بوجود

باب واسع مفتوح بجوارى .. فاندفعت من خلاله وقبعت ساكنا بلا حراك فى الداخل .. خلف قاعدة ما ! أخذت أتحسسها فوجدتها تشبه آلة معدنية .. ضخمة ..

أدركت أننى داخل قاعة واسعة .. لأننى سمعت من مكان بعيد فيها .. خلال الظلام الدامس .. طنينا وقرقعة لآلة ما .. وكذلك الخطوات المسرعة لكثير من المخلوقات الغريبة .. التى تركت وظائفها .. استجابة لصيحات التحذير .. فى الطريق بالخارج ..

أعضاؤها الخفاقة .. جعلتها تمر بجوارى مباشرة .. وهى تندفع فى طريقها إلى الباب .. وكان يمكننى أن أمد يدى فى الظلام .. وألمسها .

قبعت فى مكانى بلا حراك .. أحاول حتى ألا أتنفس .. فقد كنت على بعد عدة أمتار من كائنات الظلام .. وأدركت أنها سوف تكتشف وجودى .. عن طريق أى صوت يصدر منى ..

سمعت الكائنات تجيب الأصوات الغريبة .. القادمة من الخارج .. ثم شعرت بضوضاء الإنذار تبتعد تدريجيًا .. حيث كانت المخلوقات التى تبحث عنى .. تنطلق فى نهاية الطريق ..

تنفست بارتياح لعدة لحظات فقط .. إذ بينما كانت الكائنات تندفع عائدة إلى القاعة ..توقف اثنان منها قريبا جدًا منى .. لدرجة أن جسميهما مسا ذراعى .. بخفة بالغة ..

جثمت فى مكانى جامدا كالتمثال فى الظلام .. بينما كانا يتحدثان بصوتيهما المميزين بجوارى .. ولو تحركا تجاهى عدة سنتيمترات فقط ..لاكتشفا وجودى ..

وأخيرا وبعد فترة انتظار بدت لى دهرا كاملا .. برغم أنها لم تكن لتزيد فى الحقيقة ..على عدة دقائق .. ابتعد عنى أخيرا .. هذان الكائنان .. وحفظتنى العناية الإلهية .. من أن يحتكا بى فى أثناء ابتعادهما ..

وسرعان ما عادت أنشطة القاعة الكبيرة إلى سابق عهدها .. وأستأنفت الآلات عملها .. ووصلنى طنينها من خلال الظلام الكثيف ..كما كنت أسمع صوت المخلوقات .. وهى تتحرك من مكان لآخر ..

* * *

بدا أن خطر الاكتشاف الفورى لى .. قد ولى ..

لكن كيف يمكننى أن آمل .. فى أن تطول فترة هروبى .. فى هذه المدينة الكئيبة .. على سطح هذا الكوكب الذى يعيش فى ظلام أبدى ؟

لم أكن أستطيع التحرك مثلما تفعل هذه الكائنات التى تسكنه .. كما لو كان الوقت نهارا مشمسا وأى تعثر فى طرق المدينة .. يعنى سرعة اكتشاف مكانى .. وربما قتلى

وكيف آمل أن أعثر على (شيرين) و (سامى) .. فوق هذا الكوكب العجيب .. الذى لا أرى شيئا فوقه ؟

أدركت أننى فى موقف يائس ! وحاولت أن أجمع شتات فكرى .. وبدا لى أنه لو بقيت فى مكانى .. فإن ذلك لن يفيدنى أبدا !.. فإن هذا لابد أن ينتهى فى وقت ما .. والأفضل أن أبذل جهدا للعثور على زميلىّ .. وسفينة الفضاء .. برغم أن هذا

الجهد محكوم عليه من البداية .. بالفشل الذريع !

وبدا لى أن السير فى طرقات هذه المدينة هو الجنون بعينه .. إلا أن فى هذا التصرف تكمن الفرصة الطفيفة الوحيدة .. للعثور على (شيرين) و (سامى) .. ولذلك استجمعت كل شجاعتى .. وزحفت خارجا من الباب الواسع .. إلى الطريق المرصوف .. الأملس .. بالخارج ..

فى مغامرة شبه مستحيلة !

- ٧ -

توقفت يائسا فى الظلام .. وأصخت السمع ..

كانت تصدر من الطريق كله .. أصوات هرولة الكائنات المندفعة .. وأدركت أننى لو سرت على طول حواف الطريق .. فإننى سوف أقابل عددا قليلا جدا من هذه الكائنات .. ولذلك احتضنت جدران المبانى الملساء .. وبدات أزحف ببطء إلى الأمام ..

وعندما كانت أصوات الهرولة تقترب منى فى الظلام الذى أمامى توقفت .. إذ كنت أعلم أن صوت وقع خطواتى ذاتها .. سوف ينم عن وجودى على الرغم منى .. وتكتشفنى هذه الكائنات قوية السمع ..

* * *

واصلت طريقى ببطء وكنت أجثم ساكنا فى كل وقت يقترب منى أحد هذه الكائنات الخفية .. وأخذت أتحسس طريقى كالأعمى تماما .. إلى الأمام .. خلال مدينة الليل المرعب !

وأخيرًا وجدت نفسى فى نهاية الطريق .. ولم يعد حولى أى مبان ملساء الجدران .. وبدا أننى أخرج إلى فضاء واسع جدًا .. يعج بنشاط صاخب ..

تحركت قليلاً .. ببطء بالغ .. وكنت أجلس بلا حراك فى مكانى لبضع لحظات .. كلما اقترب منى وقع خطوات زاحفة .. حتى اصطدمت بشىء يشبه جدارًا معدنيًا هائلاً .. ينحنى تدريجيًا أمامى .

أخذت أتحسسه بإمعان .. ثم وقفت ساكنًا فى ذهول .. إذ لم يستغرق الأمر منى سوى لحظات .. لكى أدرك أن الذى كان أمامى .. سفينة فضاء ضخمة من النوع الذى يسافر بين

النجوم .. تشبه تلك السفن الجبارة التى تروح وتغدو فى أرجاء مجرة (الطريق اللبنى) .. بآلاف لا تحصى ..

ولا ريب أنها إحدى السفن التى انجذبت إلى داخل سحابة الموت !

صعقتنى الدهشة .. بحيث نسيت كل شىء آخر ..

ثم أدركت بعد قليل .. أن الذى يجرى حولى وأمامى .. نشاط رهيب .. لا أدرى سره ..

وبينما كنت أشق طريقى بحذر خلال الظلام .. على طول الهيكل المعدنى لسفينة الفضاء .. سمعت جلبة الكائنات الغريبة .. وهى تدخل وتخرج بأعداد كبيرة .. من أبواب السفينة .. وتحمل أجهزة ومعدات تقرقع عند اصطدامها بالأبواب .. التى تمر خلالها ..

تجنبت هذه المخلوقات .. وتحركت إلى جانب ..

إذ إننى اكتسبت بعض الخبرة .. فى السير بين طيات هذا الظلام الكثيف ..

وبعد لحظات .. وصلت إلى سفينة ضخمة أخرى .. ووجدت نفس النشاط يجرى بها ..

كان واضحًا أن عددًا كبيرًا من السفن الفضائية التى اختطفت .. موجودة فى الخلاء الواسع أمامى .. ولكننى لا أراها .. بسبب الظلام الدامس .. وأنه يجرى إعدادها .. وتجهيزها بمعرفة الكائنات الغريبة .. تنفيذًا لمشروع ضخم ..!

وتساءلت فى فزع :

ـ ترى ما عسى أن يكون هذا المشروع الجبار ؟

كتمت دهشتى .. وتعجبى القويين داخلى .. بعد ما أدركت أن هذا المكان الصاخب .. كان أخطر بكثير بالنسبة لى .. من أى مكان آخر !

فقد بدا لى أنه من المحتم أن يصطدم بى أحد هذه المخلوقات فى الظلام .. لو مكثت طويلا هناك ..

لذلك زحفت عائدا أدراجى .. تجاه الطريق الذى حضرت منه .. برغم كرهى لذلك ..

لكن ظهر لى هذا الطريق مختلفا عن الذى حضرت منه .. إذ كان أضيق .. ويسير فيه عدد أقل من مخلوقات المدينة .. ولم أكن أعلم .. إذا ما كنت أعود فى الاتجاه الذى أتيت منه .. ولكننى لم أهتم كثيرا بذلك .. إذ فى ذلك الوقت بدا واضحا لى .. أن قدرى هو التجوال الأعمى .. حتى يتم اكتشافى وإلقاء القبض علىّ ..

وتضاءل الأمل فى صدرى .. إلى أدنى حد !

* * *

ظللت مراعيا كل أنواع الحذر .. وأجلس القرفصاء فى كل مرة أسمع فيها صوت اقتراب المخلوقات الخفية .. ولا أتحرك قبل ابتعادها عنى ..

وبعد ما سرت أتحسس طريقى وسط الظلام .. ربما لخمسمائة متر .. كان أكبرهم يشغلنى هو تجنب الكائنات .. التى كانت تخرج فجأه من الأبواب على طول الطريق ..

وبرغم صعوبة الهروب منها فى هذا الطريق الضيق .. إلا أننى بدأت أزداد ثقة فى نفسى ..

ولكن حدث فى تلك اللحظات .. أمر غير متوقع !

إذ بعد أن مررت أمام باب أحد المنازل .. تخليت قليلا عن

حذرى واحتياطى .. فى الوقت الذى خرج فيه من الباب فجأة .. أحد الكائنات الضخمة .. واصطدم بى مباشرة .. وجها لوجه !

- ٨ -

ولابد أن هذا المخلوق .. كان للحظة مندهشا أكثر منى ..

وقبل أن يستوعب الذى حدث .. ألقيت نفسى عليه .. إذ كنت أعرف جيدا .. أن الهرب لن يفيدنى قط الآن ..

حاولت يداى البحث عن مكان تمسكان منه .. هذا الجسد الهلامى .. البارد .. الناعم .. ولكن بلا جدوى ..

كما أن ذراعى الكائن .. الخفاقتين .. أحاطتا بى تماما ..

بدا لى أن ليس له رأس أو عنق .. وأن جسده خال من أى صفات أو ملامح مميزة له ..

وبالصدفة البحتة .. وقعت يداى على فتحة صغيرة .. بالجزء العلوى من الجسم العملاق .. وفى الحال أغلقتها بيدى .. بكل ما أوتيت من قوة .. فصدرت منها صرخة تشبه نغمات الناى .. وهنا أدركت أننى عثرت على فم هذا الكائن ..

واصلت ضغطى على هذه الفتحة .. وأحطت الجسد الضخم بذراعى الآخر ..

كانت ذراعاه الخفاقتان .. ذواتى قوة هائلة .. لكن من حسن الحظ .. أنهما كانتا معاقتا الحركة .. حيث إننى ثبتهما بشدة بين جسدينا المتلاحمين .. ومع ذلك كان الكائن يمينا ويسارا تجاه الجدران .. والأرضية الملساء للطريق الضيق ..

لم يصدر منه سوى أصوات مخنوقة محشرجة .. وعرفت

عندئذ أن هذا المخلوق من النوع الذى يتنفس الهواء .. مثلى تماما ! وأن قبضتى على فمه .. كانت تشله حقيقة ..

حاولت مواصلة الضغط بكل ما لدى من إرادة .. وكذلك حاول الكائن أن يفلت منى .. بكل ما يملك من قوة ..

واستمر الصراع المميت بيننا ..

كنت أعلم أن صيحة واحدة .. سوف تجلب علينا عشرات من هذه الكائنات .. لمساعدة زميلها ..

وساعد هذا على أن تتصلب عضلاتى .. بحيث أصبحت فى قوة الفولاذ .. وبدأت الحشرجات اللاهثة للمخلوق .. تضعف وتقل باستمرار ..

وبعد بضع لحظات أخرى .. كانت قبضتى الخانقة له قد أدت عملها .. فاهتز الجسد الهائل عدة مرات .. ثم سكن تماما !

أخذت أنفاسا طويلة .. متقطعة .. إلا أن الرعب ما لبث أن سرى فى أوصالى مرة أخرى .. إذ كانت هناك خطوات تقترب منى فى الطريق الضيق .. ولكنها بدت لى أنها تسير بحذر .. كما لو كانت تستقصى شيئا ما !

أخذت تتوقف من حين لآخر .. وعندما أصبحت الخطوات بمحاذاتى سكنت تماما ..

حبست أنفاسى فى ترقب .. لكن فى اللحظات التالية عادت الخطوات تتحرك بسرعة .. ولكن فى اتجاهى تماما .. هذه المرة !

خرج من بين شفتى ما يشبه صرخة اليأس ... ثم لم ألبث أن

قذفت بنفسى إلى الأمام .. على الخلوق المقترب منى فى الظلام ..

كنت أعرف أن الكائنات اكتشفت أمرى .. وحتى لو هربت فإن صيحات الكائن .. سوف تجلب العشرات من الطرق المجاورة ..

لكن لدهشتى الفائقة .. فإن يداى قبضتا ليس على مخلوق آخر ضخم .. وبارد الجسم .. من كائنات الظلام ! وإنما على مخلوق يشبه الإنسان الطويل .. المنتصب القامة .. ولا يقاومنى !

ثم وجدت ذراعين عضليتين .. تقبضان على كتفى .. بينما همس بقوة فى أذنى .. صوت يتحدث بلغة أهل المجرة :

ـ اهدأ ! إننى صديق ! وأى صوت آخر سوف يحضر الكائنات إلى هنا !

غمغمت قائلا :

ـ أنت من سكان المجرة ! وتتحدث بلغتها ! لكن كيف تعيش هنا فى هذا الظلام المروع ؟

أجابنى بلهجة تحذير :

ـ ليس الآن ! سوف أشرح لك كل شىء بعد لحظات .. إذ يجب علينا أن نهرب من هنا .. ونبعد جثة هذا الكائن .. قبل أن يفتضح أمرنا .. هيا .. من هذا الطريق ..!

وجدتنى أسير بتوجيه من رفيقى الغامض .. خلال الظلام وكأننى فى حلم ..

عدنا إلى جثة الكائن الذى قتلته .. ورفعناه بيننا نحن الاثنين .. ثم سار رفيقى قليلا فى الطريق .. واستدار داخلا فى فتحة ضيقة .. بين مبنيين ذوى جدران ملساء .. وألقينا فيها

الجثة الضخمة .. ثم جلسنا قابعين بجوارها ..

ودهشت من أن رفيقى كان يتحرك فى الظلام .. وكأنه يسير فى ضوء غامر !

وأول كلمات هامسة وجهتها إليه .. كانت بشأن قدرته الغريبة تلك :

ـ كيف ترى فى هذا الظلام الدامس ؟

أجابنى :

ـ سوف أضع هذين القرصين .. فوق عينيك !

وبينما كان يتكلم .. وضع فوق عينى قرصين زجاجيين مسطحين صغيرين .. قطر كل منهما نحو ثلاثة سنتيمترات .. بوساطة إطار يثبت بالضغط ..

أطلقت صيحة لا إرادية من فرط دهشتى ! إذ عندما نظرت من خلال القرصين .. تلاشى على الفور الظلام الرهيب .. الذى كان سائدًا حولى منذ أسر سفينتنا .. إلى داخل سحابة الموت .. وحل محله ضوء خافت .. نابض .. أضاء كل الأشياء حولنا ..

أمكننى أن أرى الآن بوضوح .. الجدران العالية للمبانى .. التى نجلس نحن الاثنين بينها .. الطريق الضيق بالخارج .. الذى وقعت فيه أحداث معركتى مع الكائن الغريب .. وبجوارى رفيقى ..

كان له جسم طويل .. ووجه ضخم .. وعينان سوداوان واسعتان .. ذكيتان .. وعرفت على الفور .. أنه أحد مواطنى كوكب (فيجا) ..

(فيجا) !!

إن ذكر هذا الاسم .. أعاد إلى ذاكرتى ما قاله رئيس شرطة المجرة ..!

أمسكت بذراع رفيقى .. وصحت قائلا :

ـ أنت العالم (كاتو) من كوكب (فيجا) ! الذى دخل السحابة السوداء .. منذ سنوات لاستكشافها !

أومأ برأسه معترفا وقال :

ـ أجل أنا (كاتو) ! والحقيقة أن سنوات مرت .. منذ حضرت إلى السحابة الغامضة .. إلى هذا المكان الممتلئ بالظلام .. والرعب !

قلت مبتسمًا .. وأنا أشير إلى القرصين اللذين يرتديهما فوق عينيه :

ـ لكن ليس مظلمًا بالنسبة لك ! فبوساطة هذين القرصين يمكنك أن ترى فى الظلام الحالك .. برغم أننى لا أدرى كيف !

رد قائلاً :

ـ سوف أخبرك بذلك قريبًا ! لكن أجبنى أولاً .. كيف حدث أنك كنت تجوب طرقات مدينة كائنات الظلام ؟

فشرحت له بسرعة .. كيف أرسلنا رئيس شرطة المجرة .. لمعرفة سبب جذب المئات من سفن المجرة ..إلى داخل سحابة الموت .. وكيف أننا سحبنا إلى الداخل .. وتم أسرنا .. حيث تمكنت من الهرب بعد فترة ..

* * *

كان يصغى إلىّ باهتمام بالغ .. وأومأ برأسه عدة مرات .. وبعدما انتهيت من قصتى .. تساءل قائلا :

ـ لقد جولت داخل واحدة من السفن الفضائية الضخمة .. المتنقلة بين النجوم .. والتى أسرتها تلك الكائنات .. إنها تجهزها ! أتدرى السبب ؟

أجبت بالنفى ..

وعندئذ ازداد تعبير وجهه جدية وقال :

ـ كابتن (عادل) ! إن هذه الكائنات تجهز تلك السفن الأسيرة .. من أجل مشروع يعنى هلاك مجرتنا (الطريق اللبنى) .. لقد صنعت آلاف السفن .. وتستعد للانطلاق إلى خارج السحابة .. والهجوم على المجرة .. بكامل أعدادها .. من أجل السيطرة على شموسنا وكواكبنا .. ومن ثمّ انتصار عالم الظلام !

كررت جملته فى ذهول :

ـ انتصار عالم الظلام !

أومأ برأسه ثم استطرد قائلا :

ـ بعد عدة ساعات .. سوف تترك الكائنات هذا الكوكب والسحابة السوداء وتنطلق فى أرجاء مجرتنا .. وبينما نحن نتحدث هنا الآن .. تكون خطط تلك الكائنات .. قد قاربت على الوصول إلى ذروتها .. فقد رأيتها تصمم .. وتنفذ فى السنوات التى قضيتها مختبئا هنا .. فوق كوكب الظلام !

تريث لبرهة ثم أردف قائلا :

ـ ... كنت أعلم أن الضوء لا يوجد فى هذه السحابة السوداء ..

إذ إن ظلمتها تكونت من التقاء جسيمات دون ذرية غريبة .. هى النيوترونيوات .. والأكسيونات .. والجسيمات الثقيلة ضعيفة التفاعل .. وهى تلغى مفعول جميع الفوتونات .. أى تذبذبات الضوء ! وكانت خطتى أن أرى فى ظلام السحابة بوساطة الأشعة تحت الحمراء .. ومن ثمّ فقد اخترعت هذه الأقراص الزجاجية .. التى تعمل بهذه الأشعة !

صمت (كاتو) قليلا ثم استطرد بقوله :

ـ ... إن هذه الكائنات الغريبة عمياء ! وقد تكاثرت فوق هذا الكوكب لعصور طويلة .. ولأنها نشأت فى ظلام أبدى .. فإنه لم يكن لها عيون أبدًا .. وأنما كان لديها سمع قوى جدًا .. بحيث حل تمامًا محل الرؤية ! وبمجرد هبوطنا على سطح هذا الكوكب أسرتنا تلك الكائنات .. وساقتنا إلى حكامها ! ويبدو أن هذه المخلوقات العمياء لم تتخيل قط .. إمكان وجود كواكب أخرى خارج السحابة السوداء .. كما أنه لم يكن لديها أى سفن فضاء .. وإن توفرت المواد الخام .. وبعد معرفتها بوجود عوالم آخرى عديدة .. بدأت تخطط لترك السحابة .. والسيطرة على كواكب آخرى .. لأن أعدادها أصبحت كثيرة جدًا .. على هذا الكوكب الصغير .

تنهد رفيقى ثم أضاف :

ـ ... هذه الكائنات قتلت مساعدى ولكنها احتفظت بى .. وعذبتنى بأسلحة إحداث الألم .. للحصول على معلومات منى .. واتضح لى أنها فى حاجة إلى آلاف السفن الضخمة .. لتتمكن من

غزو مجرة (الطريق اللبنى) ..

ومن هنا ابتكروا طريقة سحب عشرات من السفن الفضائية .. لصناعة أعداد كبيرة على غرارها ..

وكانت تلك الكائنات تأسر السفن عن طريق مضاعفة مغناطيسية كوكبهم .. آلاف المرات .. فكل كوكب فى الفضاء عبارة عن مغناطيس جبار .. له قطبان : موجب وسالب .. بسبب دوران الكوكب .. والمعادن التى فى باطنه .. وكانت خطة الكائنات لزيادة المجال المغناطيسى .. وضع سبائك ضخمة من مواد فائقة التوصيل .. أى يمر فيها التيار الكهربائى دون أى مقاومة .. ومن ثم تولد مجالات مغناطيسية مروّعة.. وجهزوا كميات هائلة من هذه السبائك عند القطبين .. ووضعوا أجهزة التحكم فيها على قمة أكبر مبنى لحكامها .. وعند تشغيلها تزداد شدة المجال المغناطيسى للكوكب .. فى قلب سحابة الموت .. لآلاف المرات .. وتمتد هذه الطاقة الجبارة فى كل أرجاء السحابة .. وتمسك بتلابيب أى سفينة فضائية .. تدخل فى مجالها .. وتجذبها بسرعة إلى الداخل ..

وإذا كانت تلك الكائنات قد تركت أجهزة التحكم تعمل باستمرار .. لجذب هذا الكوكب للسفن .. بحيث تتحطم تماما عند اصطدامها به .. لكن بعد سحب السفن الفضائية إلى داخل الغلاف الجوى للكوكب .. توقف أجهزة التحكم .. ومن ثمّ تخف القبضة المغناطيسية !

وبعد أن دخلت أسراب السفن الفضائية .. التى لا حول لها

ولا قوة فى غياهب الظلمات .. وصلت إلى الغلاف الجوى لهذا الكوكب .. وهنا انطلقت الكائنات بسفنها الخاصة التى صممتها .. بأعداد كبيرة .. والتى تشغلها فى الفضاء بوساطة الذبذبات الكهربية المنعكسة .. بدلا من الرؤية ..

وهكذا اقتربت من السفن الفضائية .. واقتحمتها .. وأسرتها ! ثم جاءت بهذه السفن الأسيرة .. إلى سطح الكوكب .. بعد أن أصبح من بداخلها عاجزا تماما فى الظلام .. أمام تلك الكائنات العمياء ! التى قتلت كل من بداخل هذه السفن بأسلحة إحداث الألم .. واحتفظت بمن اعتقدت أنه قد يفيدها كأسير .. كما حدث لى .. إذ سجنت فى مبنى الحكام ..

وأصبح لدى كائنات الظلام فى الوقت الحاضر .. آلاف من السفن الفضائية .. التى يمكنها أن تقل جيوشا من كائنات الظلام .. لغزو مجرة (الطريق اللبنى) !

- ٩ -

صمت العالم (كاتو) للحظات ثم أضاف قائلاً :

- لقد أوشكت الكائنات على إكمال إعادة تجهيز سفن الأسطول الجبار .. وتزويدها بأسلحة رهيبة منها أسلحة الألم .. لتحقيق نصر كاسح على قوات المجرة .. ومن هذه الأسلحة ما يطلق عليه « مدمرات الضوء » وهى تطلق جسيمات دون ذرية .. غريبة .. كالنيوترينوات .. والأكسيونات .. فتخلق مادة مظلمة .. ويمكنها أن تدمر كل الضوء فى حيز هائل من الفضاء حولها .. وذلك بابتلاع وحدات الضوء .. الفوتونات .. كما يحدث هنا فى السحابة السوداء !

وبهذه الأسلحة الرهيبة سوف تغزو الكائنات .. كل أرجاء مجرتنا .. إذ كل ما يلزمها هو الهبوط فوق أحد الكواكب .. ثم استخدام أسلحة تدمير الضوء .. وإبادته .. وعندما يسود الظلام الحالك .. فإن شعوب الكوكب تصبح عمياء .. عاجزة .. فلا يمكنها رد الهجوم الذى تشنه هذه المخلوقات عليها .. لاعتيادها التام على الظلام .. وعند ذلك يستخدم الغزاة .. أسلحة الألم .. فى الفضاء التام على هذه الشعوب ..

إنها كارثة بشعة !

* * *

أطرق رفيقى برأسه إلى أرضية الكوكب ثم استطرد قائلا :

ـ ... إن هذه الكائنات تجرى آخر استعداداتها .. وتتدفق جموعها الغفيرة .. تجاه السفن الفضائية الجبارة التى تنتظرها .. بعد أن زودتها بتلك الأسلحة الرهيبة .. المدمرة .. وهذه المعلومات هى التى أصابتنى باليأس .. ولكننى تمكنت بصعوبة من الهرب .. من مبنى الحكام .. الذى سجنت فيه ..

وكنت أحتفظ معى دائما بأقراص الرؤية بالأشعة تحت الحمراء .. وبواسطة زوج منها .. أمكننى الإفلات من هذه المخلوقات اللعينة .. آملا فى سرقة سفينة فضاء .. أنطلق بها إلى مجرة (الطريق اللبنى) .. لتحذيرها من المصير المروع الذى ينتظرها .. لكننى لم أستطع الاقتراب من أى سفينة .. بسبب الحراسة المشددة ..

وفى أثناء تجوالى فى المدينة .. وبقية من هذا الأمل تبرق فى

صدرى .. رأيتك تصارع هذا المخلوق .. وتقتله .. ثم حضرت إليك !

* * *

انتهى العالم (كاتو) من قصته الغريبة .. وظللت صامتا للحظات .. أحدق مشدوها فى الطريق الضيق .. المضاء باللون الأحمر الخافت .. الذى كنا مختبئين بجواره ..

ثم سألت رفيقى :

ـ هل تعتقد اذن أن الأمل الوحيد هو سرقة سفينة فضائية .. والهرب من سحابة الموت .. لتحذير شعوب المجرة .. قبل بدء هجوم الكائنات عليها ؟

أومأ برأسه الضخم موافقا وقال وهو يتنهد :

ـ ليس هناك أى أمل آخر لنا ! لا توجد أى قوة يمكن أن توقف غزو هذه المخلوقات لمجرتنا .. إذ بعد ساعة واحدة من الآن .. على ما أعتقد .. سوف تكون جيوشها فى طريقها خارج سحابة الموت .. داخل آلاف السفن الفضائية .. إنك حتى تستطيع سماع أصوات الكائنات عن بُعد .. وهى تقوم بآخر الاستعدادات لبدء الغزو !

فكرت لعدة ثوان .. ثم همست :

ـ لكن ماذا بشأن زميلى فى السفينة الفضائية (الشهاب) ؟ إننى لا أستطيع أن أنجو بنفسى .. وأترك (شيرين) و(سامى) هنا!

تريث للحظات ثم قال :

ـ بالنسبة لأفراد طاقم سفينتك .. لا أمل لهما على الإطلاق ..

إذ سوف يأمر الحكام بقتلهما على الفور .. أما إذا بدا أن لهما أهمية ما .. فتوجد فرصة لتركهما على قيد الحياة .. لفترة كسجناء فى مبنى الحكام !

استدرت إليه بسرعة وصحت قائلاً :

ـ إذن علينا أن نخرجهما من هناك .. على الفور !

وافقنى (كاتو) على الفور وقال :

ـ إن أى شىء لا يزيد الأمل فيه على غيره .. ولعله لا ضرر من هذه المحاولة .. لكن لابد من الإسراع لنجدة صديقيك الآن .. لأن كائنات الظلام سوف تقتلهما بالتأكيد .. وكذلك كل السجناء حتى آخر وآحد فيهم .. قبل أن تغادر هذا الكوكب .. فى طريقها لغزو المجرة !

* * *

نهضنا بسرعة .. ثم اندفعنا بحذر إلى الطريق الضيق ..

نظرت إلى المبانى المضاءة باللون الأحمر الخافت .. بسبب تأثير القرصين الزجاجيين اللذين أضعهما فوق عينى ..

ثم شاهدت فى الطرق المتقاطعة .. أعدادا غفيرة من أجسام سوداء .. هلامية .. زاحفة .. تسرع .. وهى تحمل أجهزة معدنية داكنة .. لاريب أنها الأسلحة الرهيبة .. التى تدمر الضوء .. أو تسبب الآلام ..

وكانت المبانى على كلا جانبى الطريق .. عالية ومستطيلة .. ويبلغ ارتفاعها عدة مئات من الأمتار .. وجدرانها ملساء .. وسوداء .. مثل إسفلت الطريق تماما ..

عالم كئيب .. ومقبض ..

وكانت لهذه المبانى أبواب ضخمة .. لكن لا توجد نوافذ من أى نوع .. بحيث بدت كصناديق هائلة .. وتذكرت أنه فى مدينة الظلام الدائم .. لا حاجة للنوافذ !

أشار العالم (كاتو) إلى مبنى ضخم فى المدينة .. يرتفع أكثر من غيره .. وعلى سطحه رأيت أشكالا هائلة .. لسفن فضائية جاثمة ..

همس قائلا لى :

ـ إنه مبنى الحكام إن صديقيك هناك .. لو كانا أحياء بالطبع !

قلت له بسرعة :

ـ إذن هيا بنا !

بدأنا السير فى الطريق الضيق .. وعندما وصلنا إلى الشارع

الواسع المتقاطع معه .. تحركنا بحذر أكثر ..

وهنا لمحت لأول مرة مخلوقات الظلام .. التى هربت منها .. وقاتلتها ..

أجسام هلامية .. منتصبة .. ضخمة .. من اللحم الأسود .. تتحرك على طرفين سفليين .. خفاقين .. ولكل منها ذراعان .. طويلان .. وفى الجزء العلوى من الجسم .. كانت كل السمات .. عبارة عن فتحة فم صغيرة .. وأذنين كالقدحين على الجانبين !

* * *

راقبت ذلك .. وعاودنى شىء من الرعب الذى أحسست به من قبل .. وتأكدت أن هذه المخلوقات تقدّر .. وتحسب كل تحركاتها .. عن طريق السمع .. ويتجنب كل منها الآخرين .. بالتصنت لوقع الأقدام .. كما تتحاشى الجدران والعوائق الأخرى .. بالاستماع إلى صدى الخطوات فوقها ..

إن حصيلة تطور الأجناس فى الظلام الأبدى .. لسحابة الموت .. كانت أن الذبذبات الصوتية بالنسبة للكائنات .. تعنى ما تمثله فوتونات الضوء بالنسبة لنا .. فجأة .. أبدى لى (كاتو) علامة مراعاة الحذر ! ثم خطا ببطء إلى الأمام .. وقادنى عبر الطريق العريض .. فى وقت انخفضت فيه كثافة مرور الكائنات العمياء ..

وعندما اقتربنا من جانبه الآخر .. اضطرنا للتوقف .. وجود كائنين يحملان جزءا من آلة .. فيما بينهما .. ومر الاثنان على بعد أمتار قليلة منا ..

كم كان غريبا .. ومرعبا .. أن أقف هكذا صامتا فى طريق مضاء .. بأشعة حمراء خافتة .. وتلك المخلوقات العجيبة تخفق مارة بنا ..

وبجهد طمأنت نفسى إلى أنه بدون إصدار أى صوت .. لن تستطيع تلك الكائنات كشف وجودنا !

* * *

وبينما كنا نواصل سيرنا .. نظرت أمامى وخلفى .. ورأيت فى كل مكان بالمدينة .. بقدر ما يمكن لى رؤيته بالأشعة تحت الحمراء .. حشودا من مخلوقات الظلام .. تتجه إلى ساحات مربعة هائلة .. مكشوفة .. تقف فيها آلاف السفن الفضائية .. الأسيرة .. والمصنعة فوق الكوكب .. واتضح لى أنهم يحملون آخر أجزاء من الأسلحة الرهيبة .. فى داخلها ..

وفى نفس الوقت .. كانت الكائنات العمياء تهرع إليها بأعداد هائلة .. كالأمطار السوداء !

كانت على وشك بدء انطلاقها خارجة من سحابة الموت .. للانقضاض على كواكب مجرة (الطريق اللبنى) .. وغزوها !

ساعدتنا قدرتنا على الرؤية .. فى التقدم إلى الأمام .. وكنا نتوقف من حين لآخر ساكنين كالتماثيل .. للسماح لمخلوقات الظلام بالمرور حولنا .. أو بالقرب منا ..

واصلنا طريقنا خلال الشوارع حتى اقتربنا من المبنى الضخم للحكام ..

وفى هذا الوقت .. كان الجزء الأكبر من حشود المدينة ..

قد سار تجاه السفن الفضائية الرابضة .. ودخل فيها .. ولهذا السبب .. أسرعنا فى سيرنا كسبا للوقت ..

* * *

كان (كاتو) يلتفت من وقت لآخر لتحذيرى .. وفى المرة الثالثة التى فعل فيها ذلك .. أخذت عيناه تتسعان من الرعب المباغت ..! ورأيته يتراجع ناحيتى .. ويداه ممدودتان إلى الأمام ..

وبسرعة أحسست بالخطر ..

ودرت حول نفسى ..

لكن قبل أن أفعل ذلك .. بجزء من الثانية .. أحاط بى ذراعان خفاقان ضخمان .. من الخلف ..

وفى أثناء اهتزاز رأسى بعنف .. أطيح بالقرصين من فوق عينى ، وفى التو أظلمت الدنيا حولى تمامًا .. ثم سمعت صوت خطوات تركض .. وأطلقنى المخلوق الذى كان ممسكا بى وتركنى أترنح فى الظلام ..

لكن كان هناك قتال وحشى .. يدور بجانبى فى الظلام ..

وأدركت أن (كاتو) والكائن .. متلاحمين فى معركة شرسة .. حتى الموت !

لكننى كنت عاجزًا عن تقديم أى مساعدة لصديقى .. فى هذا الظلام الحالك الذى كان يحدق بى .. أسرعت مندفعا تجاه صوت القتال .. أحاول المشاركة لإنقاذ (كاتو) .. لكن سرعان ما أطاحت بى .. ضربة هائلة فى وجهى ! أخذت أبحث بجنون

فوق الأرض .. عن منظارى المفقود .. وسمعت وسط القتال فى الظلام الدامس .. صوت (كاتو) .. وهو يشهق لالتقاط أنفاسه .. وكذلك صوتا مخنوقا يشبه نغمات الناى .. يصدر من الكائن الغريب ..

وفجأة .. توقفت كل الأصوات الصادرة من الصراع ..

وفى مكان ما فى الظلام .. ارتطم جسم ما بالأرض .. فى صوت مكتوم ! وتساءلت فى فزع :

ـ يا إلهى ! ترى من الفائز من الاثنين ؟

وقفت جامدا كالتمثال .. منتظرا النتيجة .. التى ربما تتوقف عليها حياتى ! وحياة زميلىَ (شيرين) و(سامى) !

قبض شىء ما على كتفى ..

استدرت فى رعب .. وعندئذ قامت يدان بتثبيت الزجاجتين والإطار.. فوق عينى ..

وبعد أن استحال ما حولى من ظلام حالك .. إلى ضوء أحمر خافت مرة أخرى .. حمدت الله .. أنه كان (كاتو) ..وهو يرتعد ويلهث .. بينما كان الكائن الغريب .. ملقى على الأرض ميتا ..

ضغطت على يد (كاتو) مهنئا بسلامته .. فابتسم فى ود ..

قال لى (كاتو) وهو يلتقط أنفاسه :

ـ إلى المبنى الآخر ! ليس أمامنا سوى دقائق على ما أظن .

اندفعنا إلى الأمام .. ونحن نركض فى الطريق .. الذى كان خاليا من أى مخلوق ..

وأدركنا أن معظم كائنات الظلام .. أصبحت الآن داخل السفن

الفضائية .. استعدادا للغزو .. والكارثة الرهيبة !

فبعد عدة دقائق سوف تشق طريقها .. إلى خارج السحابة .. لتنشر الظلام .. والهلاك .. فى جميع أنحاء مجرة (الطريق اللبنى) ..!

ركضنا فى الطريق بكل قوتنا .. غير عابئين الآن .. بمن يسمع من الكائنات .. حتى لاح أمامنا فى نهاية الطريق .. المبنى الهائل .. الشاهق .. لحكام الكائنات .. الذى يشبه الصندوق ..

لم نر أيًا من مخلوقات الظلام حول المبنى .. فركضنا تجاه الباب المربع الضخم .. ثم توقفنا فجأة .. على الرغم منا !

* * *

إذ بعيدا عبر مدينة الظلام .. سمعنا أزيزا غامضا كالطنين الذى يصدر عن سرب هائل من النحل ..

كان صوتا مميزا .. أعرفه جيدا ..

صوتا تجمد له الدم فى عروقى ..

المولدات التى تعمل بالاندماج النووى . لسفن الفضاء الجبارة .. وهى ترتجف .. وتنبض بالحياة !

وبينما كان هذا الصوت يدوى .. ارتفعت إلى عنان الفضاء .. منات السفن اللامعة !

وعلى يميننا كانت مجموعة أخرى .. من السفن الفضائية تماثلها فى العدد .. تبدأ فى الارتفاع ..

ووراءنا على البعد .. فى المدينة الغريبة .. كان سرب ثالث .. يحلق فى الفضاء ..

وأصبح مجموع سفن الأسطول الفضائى .. الذى تحتشد به كائنات الظلام .. آلافا .. وآلافا !

لقد بدأت كائنات سحابة الموت .. تحركها من كوكبها .. لتأدية واجبها فى الانتصار الرهيب .. على شعوب المجرة !

* * *

صرخت قائلا :

ـ (كاتو) ! بدأ الرحيل للغزو ! لقد تأخرنا كثيرا !

رد فى تؤدة :

ـ ليس بعد ! انظر .. ما زالت هناك سفينة منتظرة على سطح المبنى ! لابد أن الكائنات تقتل سجناءها الآن !

لمحت على سطح المبنى الهائل للحكام .. سفينة فضائية رابضة ..لم تحلق بعد !

ومغزى وجودها .. وكذلك صيحة (كاتو) .. أعادا لى عقلى ..الذى كاد أن يجن فى هذه اللحظة .. وأدركت أن هذه السفينة الوحيدة .. لابد أنها كانت فى انتظار الكائنات التى فى داخل المبنى ..

الكائنات التى تقتل السجناء .. و(شيرين) و (سامى) ...!

انطلقت منى صرخة غضب .. ووثبت إلى الأمام .. داخلا من الباب المربع الضخم .. و(كاتو) قريب جدا خلفى ..

ولمحت بسرعة قاعات كبيرة .. ركضنا خلالها .. ونحن نشاهد مقاعد ومكاتب وأجهزة غريبة .. وأسلاكا .. ومؤشرات .. وعدادات ..

ثم وجدت نفسى ومع رفيقى (كاتو) بجوارى .. نقفز فوق درجات السلم العريض الملتف أمامنا ..

صعدنا سلما آخر .. كان وجهى شاحبا كالموتى .. ثم دفعت نفسى بسرعة هائلة إلى الأمام .. وأنا أرتعد بشدة .. عندما وصلتنى من مكان ما .. فى المبنى الهائل .. صرخة مدوية !

ثم توالت الصرخات .. الناتجة من قسوة العذاب الأليم .. الذى يتعرض له السجناء ..

صاح (كاتو) قائلا :

ـ إنها أجهزة إحداث الألم ! إن الكائنات تقتل السجناء بهذه الأجهزة اللعينة !

صرخت فى جنون :

ـ (شيرين) ! (سامى) !

ثم عدت أصرخ مرة أخرى .. بعد أن جاءتنى من مكان ما .. فى أعلى المبنى .. إجابة واهنة .. ضعيفة ..

اندفعنا صاعدين إلى الطابق التالى .. عبر ممر ضيق .. ثم توقفنا فجأة أمام باب من مادة كالصلب .. كانت صرخات (شيرين) و(سامى) .. تأتى من ورائه !

ألقيت بنفسى وبكل قوتى على الباب ..لكننى كنت أجهل سر فتحه .. كان مصنوعا من مادة أقوى من الماس !

سمعنا مرة أخرى صرخات صادرة الآن من الطابق العلوى .. وبعد أن تلاشت بدأت الخطوات الخفاقة ..للمخلوقات العمياء .. وهى تهبط فى درجات السلم بسرعة .. للقضاء على آخر من تبقى من السجناء !

ـ ١٠ ـ

دفعنى (كاتو) بسرعة بعيدا إلى جانب الباب .. وأمرنى قائلا :

ـ انتظر !

وعندما أدركت قصده .. تجمدت أوصالى فى الحال .. ونحن نقف صامتين تماما !

إذ كانت تهبط من السلم إلى الممر .. ستة كائنات ضخمة .. تحمل معها أجهزة معدنية مستديرة داكنة .. تشبه الأقماع الكبيرة .. أدركنا أنها أجهزة إحداث الألم !

وسمعنا أصوات الكائنات التى تشبه نغمات الناى .. وهى تسرع فى القاعة تجاه الباب الصلب .. الذى نقف إلى جواره !

وشاهدنا أحد الكائنات يحرك بأصابع يديه الخفاقتين .. جهازا دقيقا فى أعلى الباب .. فانفتح على الفور !

ثم رفع ثلاثة من الكائنات الأسلحة القمعية الشكل .. تجاه اثنين من السجناء بالداخل ..

وفى هذه اللحظة بالذات .. وثبت مع (كاتو) نحو الكائنات ..

انبعثت مجموعة من الأصوات الغاضبة منها .. عقب اصطدامنا بها .. وانطرح كائنان أرضا .. فاقدى الحس .. من تأثير ضربات أذرعنا القوية .. قبل أن تفهم باقى الكائنات حقيقة ما حدث ..

وفى نفس الوقت .. اندفع من داخل الغرفة .. (شيرين) و (سامى) .. وأخذا يضربان يمينا وشمالا .. فى معركة حياة أو موت !

كانت أصواتنا تهدر فى غضب .. ونحن نقاتل فى ضراوة .. وبكل فنون الاشتباك التى تدربنا عليها .. فى أكاديمية شرطة المجرة ..

لكن (شيرين) و(سامى) كانا يقاتلان فى ظلام كثيف .. إذ لم تكن لديهما أقراص الرؤية التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء .. التى مكنتنا أنا و(كاتو) من المشاهدة ..

وبرغم أن اثنين من الكائنات سقطا فى أول لحظات المعركة .. إلا أن باقى الكائنات .. كانت تدور بسرعة خارقة .. وتقدر كل حركاتنا .. عن طريق حاسة السمع .. حتى تتمكن من أخذ دورها فى الهجوم المضاد ..

وبعد لحظات وقعت (شيرين) وهى تسحب معها ..كاننا إلى الأرض ..

أما (سامى) فقد أمسك بقوة .. باثنين من الكائنات بذراعيه الضخمتين .. وقبل أن نرمى أنا و(كاتو) بأنفسنا .. على الكائن الباقى .. إذ به يقفز إلى الخلف .. مبتعدا عنا .. ثم رفع سلاحه القمعى الشكل ..

وعلى الفور صدر منه صوت طنين .. وسرت فى أعصاب كل واحد منا آلام مبرحة .. بدا أنها سوف تمزق عقولنا تماما !

ارتكزت على الجدران فى عذاب .. مميت ..

وبرغم أن (شيرين) و(سامى) .. قد قتلا خصميهما .. إلا أنهما كانا يعانيان من الألم الشديد ..

ورأيت الكائن الحامل للسلاح .. يقترب منا ببطء .. وهو يعلم أن كل لحظة من هذا الألم .. تعنى اقترابنا من الموت .. لنلاقى نفس مصير السجناء الآخرين !

* * *

بيد أنه فى هذه اللحظات .. شاهدت عيناى .. واحدا من أشجع الأعمال .. التى يمكن أن يتصورها أحد ..

كان (كاتو) قريبا من المخلوق .. عندما فتح سلاحه علينا .. وترنح من هذا الألم الفظيع .. كما حدث لنا ..

وعندما اقترب الكائن منا .. نصب (كاتو) قامته الطويلة .. بمجهود مضن واستدعى من عضلاته المعذبة .. أقصى ما يمكن من طاقة .. ثم اندفع وهو يرتعد إلى الأمام .. وقفز عاليا ليصطدم

بكائن الظلام .. الذى أفلت السلاح من قبضته .. ولأن الألم الذى كاد يفتك بنا .. توقف فجأة .. فقد اندفعنا إلى حيث كان الاثنان يتصارعان ..

وبعد لحظات سقط الكائن صريعا .. بجوار الآخرين !

ترنحنا جميعا فى حالة فقدان التوازن .. وأخرج (كاتو) من جيب بحزامه العريض أقراص الأشعة تحت الحمراء .. وأعطاها لزميلىَ وهو يصيح قائلا :

ـ والآن إلى السطح على الفور !

ثم أردف وهو يركض أمامنا :

ـ ... إن سفينة الفضاء التى على السطح هى فرصتنا الوحيدة للخروج من سحابة الموت .. وتحذير المجرة قبل بدء الهجوم الساحق عليها !

كنا نركض صاعدين على السلالم الملتفة .. من طابق لآخر .. وبعد لحظات أخرى .. كنا نندفع إلى السطح الواسع لمبنى الحكام ..

وبنظرة واحدة فهمنا الموقف كله ..

كان يرتفع فى منتصف السطح .. كتلة مربعة هائلة .. بها عدد لا يحصى من التوصيلات الكهربائية ..

إنها سبيكة الموصلات الفائقة .. وتحمل فوقها ذراعا ضخما لمفتاح التشغيل والتحكم ..

وكان مغلقا

إنها وسيلة التحكم التى وصفها (كاتو) .. والتى جعلت من

هذا الكوكب المظلم .. مغناطيسا جبارا ..

وفى أحد جوانب السطح .. استقرت سفينة فضاء طويلة .. لايوجد بها أحد !

إنها السفينة التى كانت تنتظر المخلوقات الستة .. القتلة ..

لكننا لم ننظر إلى هذه الأشياء .. وإنما إلى ما حولنا .. وفوقنا .. فالمدينة كلها .. بل الكوكب بأسره .. كان مهجورا تماما !

وعلى ارتفاع كبير فوقنا .. ميزنا عددا هائلا من النقاط السوداء .. كان حجمها يتناقص بسرعة .. وهى تواصل ابتعادها ..

كانت هذه النقاط آلاف من سفن الفضاء الهائلة .. والتى يمكنها التنقل بين نجوم المجرة .. والراحلة بجميع جيوش كائنات الظلام داخلها .. فى مهمة للقضاء على مجرة (الطريق اللبنى) ..!

صرخت قائلا :

ـ بدأت الكائنات فى الخروج من السحابة ! لقد تأخرنا كثيرا !

قالت (شيرين) بيأس :

ـ أجل .. تأخرنا كثيرا جدًا !

ووقعت علينا هذه الكلمات .. كالصاعقة المميتة فى آذاننا .. ونحن نقف جامدين .. نحدق فى ذهول .. فى الأسطول الفضائى الجبار .. الذاهب لبث الموت والدمار .. فى جميع أنحاء المجرة ..

وليس محتملا قط أن تقف شعوب المجرة المضيئة .. فى وجه

الكائنات العمياء هذه .. التى سوف تنشر الظلام فى كل مكان !

كما أنه من المستحيل أن نسبقها .. لتحذير المجرة بالخطر .. الذى يوشك أن يحدق بها !

ـ ١١ ـ

مكثنا نحملق كتماثيل من حجر .. فى أسراب السفن المبتعدة .. وعرفنا .. أننا تأخرنا كثيرا !

وفجأة .. أدركت عقولنا المصدومة .. صوتا غريبا بجوارنا ..

كان (كاتو) يضحك .. بشكل عجيب .. هستيرى .. وصوته نصف مختنق .. وجسده كله يرتعد ..

ثم تحرك جانبيًا عبر سطح المبنى .. تجاه الكتلة المربعة الضخمة التى فى الوسط .. سبائك المواد الفائقة التوصيل ..

وفى اللحظة التالية وصل إليها (كاتو) وهو لا يزال يطلق تلك الضحكات العالية .. من بين شفتيه ..

وضع يده فوق مفتاح التحكم الضخم .. الموضوع أعلى الكتلة ..

وبحركة واحدة .. قام بتشغيله !

وعقب ذلك صدرت همهمة منخفضة .. من مكان ما بأسفل ..

نظرنا بعجب صامت .. إلى (كاتو) .. ورأيناه يتمايل متجها ناحيتنا .. ويشير إلى أعلى .. بينما وجهه ملتو .. ومنفعل .. بشكل مفاجئ !

ورفعنا بصرنا إلى الفضاء ..

لقد كانت الأعداد الهائلة من النقاط السوداء .. أى سفن

الفضاء .. ما زالت فوقنا .. ولكنها لا تبتعد عنا قط ..

بل بدا أنها تزداد فى الحجم كل لحظة !

* * *

اختلطت فى عقلى الأفكار .. والذكريات .. بسرعة البرق ..

مفتاح التحكم الذى شغله (كاتو) ..! هو الذى جعل هذا الكوكب مغناطيسا ذا قوة جبارة .. واستخدمته كائنات الظلام لاجتذاب سفن الفضاء .. إلى داخل سحابة الموت !

صرخ (سامى) :

ـ انظروا ! إن سفن الفضاء ترجع مرة أخرى ! شىء ما أعادها إلى هذا الكوكب !

صاحت (شيرين) :

ـ قوة ما .. تجذبها إلى الكوكب ! كما أنها تصطدم ببعضها !

وشاهدنا آلاف السفن الفضائية الجبارة .. تزداد فى الحجم فوقنا .. بسرعة خيالية .. وتلف إلى الخلف فى حركة حلزونية عشوائية .. فى اضطراب وفوضى شديدين ..

ثم حدث دوى كالرعد استمر مدة طويلة .. اثر اصطدامها بسطح الكوكب المغناطيسى .. الذى سحبها إليه مرة أخرى !

اهتز سطح الكوكب .. وتموج .. من أثر الاصطدام اللحظى الهائل .. لهذه الأسراب الضخمة من السفن .. وكأنه أصيب بزلزال مدمر ...!

وبينما كنا نطير فى الهواء من شدة الصدمة .. بدا أن الكوكب يتحطم .. بتأثير الكتل المعدنية الجبارة .. التى تصطدم به بسرعة هائلة ..

ولحسن حظنا لم تصطدم بالمبنى الذى كنا فيه .. أية سفينة من سفن الفضاء المتهاوية .. إذ لم يكن فوقنا أية واحدة منها ..

شقت الصدمات المروّعة .. الهواء من حولنا ..

وبعد أن ضعفت خفة تمايل مبنى الحكام تحتنا وبدأنا نقف بثبات على أقدامنا ..

* * *

أصبح أمامنا كوكب من الدمار .. والموت .. معظم سطحه عبارة عن مشهد مروع .. من الحطام .. والأنقاض ! لآلاف السفن الفضائية .. التى كانت سوف تنشر الرعب والموت .. فى أنحاء مجرة (الطريق اللبنى) ..

والذى كان يعنى .. فناء كائنات الظلام .. العمياء .. وكل مخططاتها الرهيبة !

ثم إن الدمار حاق بها أخيرًا .. من جنس عملها .. بوسيلة التحكم فى سبائك الموصلات الفائقة .. التى جعلت الكوكب مغناطيسًا جبارًا .. يجتذب إليه سفن الفضاء !

وقفنا للحظات نحدق فى هذا المشهد .. من الموت الرهيب المروّع .. ثم حركنا وسيلة التحكم المغناطيسية الجبارة .. إلى وضع الإغلاق !

وبعد ذلك وثبنا إلى داخل سفينة الفضاء المنتظرة .. وأحكمنا غلق بابها الخارجى .. وعندما سيطرنا على غرفة القيادة بها .. ونبضت الحياة فى المولدات التى تحت يدىّ ..

انطلقنا إلى أعلى .. بعيدًا عن هذا العالم الذى يعج بالموت والفناء ..

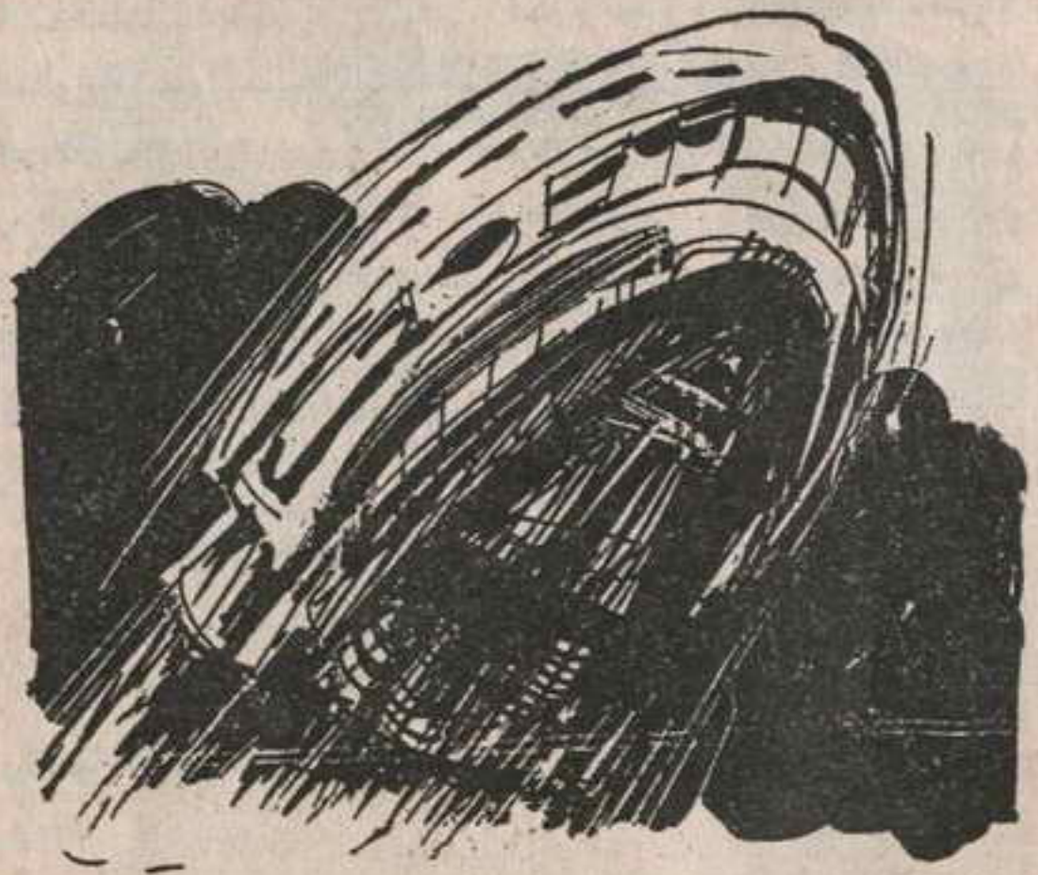

وشققنا طريقنا وسط الوهج الأحمر الخافت .. إلى حيث مناطق الضوء الباهر .. نجوم مجرتنا الغالية !

سقط القرصان الزجاجيان من فوق عينىّ المكدودتين .. ونحن نتمايل فى الفضاء الواسع .. وكان الظلام التام .. لسحابة الموت .. مازال محدقًا بنا ..

لكننى لم أتوقف لإعادة القرصين إلى عينىّ .. وإنما واصلت التقدم بسفينة الفضاء .. بسرعة خيالية .. كسهم نارى ثابت ..

فبعد لحظات قليلة .. سوف نتخلص من الظلام اللعين للسحابة .. ونفلت من أسرها ..!

ثم شاهدنا أمامنا على البعد .. نجوم مجرة (الطريق اللبنى) المألوفة لنا .. مائة ألف مليون .. من الشموع المتألقة .. البرّاقة ..

ضياء .. ونور .. وصفاء .. وسلام ..

لكن حتى فى ذلك الوقت .. لم أقلل من سرعة انطلاق سفينتنا .. وإنما حافظت على السير إلى الأمام مباشرة .. بعيدًا عن الظلام الواسع .. المتناقص .. للسحابة السوداء التى أصبحت خلفنا ..

وكان جميع زملائى قد استسلموا للنعاس الهادئ بجوارى ..

انطلقنا فى خط مستقيم .. مبتعدين عن سحابة الموت .. التى اعتقدت كائنات الظلام بها .. أنها سوف تتركها إلى الأبد .. ولكنها ظلت داخلها .. فى صمت .. وموت أبدى !

* * *

(تمت بحمد الله)

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

رحلة .. خارج الزمن

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
[illegible]

رحلة .. خارج الزمن

صاحت (سلوى) :

ـ عيد ميلاد سعيد يا (سمير) !

بينما كانت تدخل حجرة نوم أخيها .. كالإعصار .. كان (سمير) يجلس أمام الكمبيوتر .

زمجر قائلا :

ـ (سلوى) ! لقد أربكت برنامجى الكمبيوترى مرة أخرى !

اقتربت منه وهى تنظر إلى شاشة الكمبيوتر :

ـ آسفة ! لكن ما هذا البرنامج ؟ الهروب .. من الزمن !

رد عليها (سمير) بكلمات قاسية :

ـ إنه برنامج جديد .. ذو أربعة أبعاد ! وأراهن على أنك حتى لا تفهمين ماذا أعنى ؟

احتجت (سلوى) قائلة :

ـ لا بل أفهم جيدًا .. إنه برنامج يُدخل الزمن مع الأبعاد الثلاثة الأخرى .. الطول والعرض والارتفاع .. وهو تطبيق للنظرية النسبية ! إننى أستطيع تشغيله .. وسوف تشاهد ذلك بنفسك !

وبدأت تحرك أصابعها فوق لوحة المفاتيح ..

ثم أضافت :

ـ .. انظر .. كل المطلوب أن تضغط على زر [هروب] .. ثم ..

ولكنها لم تكمل جملتها .. إذ سطعت بعض الأضواء من جهاز الكمبيوتر .. بهرت عينى (سمير) وهو يجد نفسه .. جالسا على سجادة إسفنجية .. سميكة .. بيضاء .. تتحرك فى سحابة من

ـ أين منزلنا ؟

كان الهواء البارد به رائحة الياسمين .. وفى الفضاء شمس قوية زرقاء .. تسطع عاليًا فى سماء أرجوانية .. وشكلت الجبال البعيدة .. حائطًا أسود طويلاً .. يحجب الأفق ..

صرخت (سلوى) :

ـ إن هذا ليس حلمًا !

ووقفت تحدق فيما حولها .. فى ذهول !

فجأة .. برز أمامهما كائن غريب .. بيضاوى الشكل . اندفع متدحرجًا تجاههما .. فركضا حتى دخلا الغابة القريبة ..

تاركين المخلوق الغريب وراءهما ..

وقف (سمير) وهو يلهث .. وصدرت عنه شهقة عالية تعبر عن الإثارة والخوف معًا .. ثم قال:

ـ ليس هذا كوكب الأرض!

تساءلت (سلوى) فى فزع :

ـ أين نحن إذن ؟

تلفت (سمير) حوله قائلاً :

ـ فوق كوكب آخر !!

صاحت (سلوى) وهى ترتعد :

ـ وأين يوجد كوكب الأرض؟

تريث (سمير) ثم أجابها قائلا :

ـ هناك إلى أعلى .. ربما يبعد عنا سنوات ضوئية كثيرة !

لهثت (سلوى) .. وارتكزت على جذع شجرة ضخمة وأردفت :

ـ ترى كيف سنعرف طريق رجوعنا إلى كوكب الأرض ؟

فكر (سمير) للحظات ثم قال :

ـ ربما يجب علينا البحث عن آثار أقدام .. ترشدنا إلى هذا السر الغريب !

ردت (سلوى) بلهفة :

ـ فكرة رائعة !

بحثا دون جدوى .. إذ كانت تربة الكوكب تبتلع آثار أقدامهما .

أشارت (سلوى) قائلة :

ـ إننى عطشى ! لعل هذا الخط الأسود ترعة ماء !

وكان هذا صحيحا .. إذ كانت المياه صافية كالبللور .. على طول مجرى ضيق ..

فجأة صرخت (سلوى) قائلة :

ـ ثعبان !

صاح (سمير) فى فزع :

ـ أين ؟!

تلاحقت الكلمات من فمها :

ـ إنه خفىّ لا يُرى !

حرك (سمير) بعناية بعض أوراق الأشجار القريبة .. ولمس شيئا صلبا باردا .. لم يستطع رؤيته .. ولكن أصابعه لمسته وقال :

ـ (سلوى) ! هل تعرفين ما هذا ؟

اقتربت منه ثم أجابت ببطء :

ـ لا .. لا أعرف .. ولكننى لمست واحدا منه من قبل .. أظن ذلك !

قال (سمير) مؤكدا :

ـ بالطبع يا (سلوى) .. إنه صنبور الحديقة .. والثعبان ليس سوى الخرطوم !

تريثت (سلوى) ثم قالت بدهشة :

ـ إننى أحس بوجوده .. ولكننى لا أراه !

تحرك (سمير) لعدة خطوات .. وصاح قائلا :

ـ الغريب أن كل هذا .. جزء من عالمنا .. فوق سطح هذا الكوكب !

تحسست (سلوى) طريقها ثم قالت :

ـ لعل هنا المزيد منه

أخذا يبحثان برقة .. وهدوء .. وعناية .. ثم استطردت (سلوى) قائلة بدهشة :

ـ ... (سمير) ! ها هو شىء خشبى !

همس (سمير) :

ـ إنه سور حديقة ..

ردت (سلوى) بصوت خافت .. وكأنها تتحدث لنفسها :

ـ إن الأمر يبدو .. كما لو كنا معصوبى العينين !

وافقها (سمير) بسرعة :

ـ أمر عجيب حقـا ! إننـا لا نستطع رؤيـة الشىء .. ولكـن أصابعنا تخبرنا بوجوده !

نظرا حولهما ببطء ..

لم يشاهدا أى مخلوق ..

تحسس (سمير) الأرقام البارزة فوق أحد أجزائها .. ثم صاح بفرحة :

ـ يوجد رقم ٣٨ عليها .. إن منزلنا رقم ٢٨ .. !

همست (سلوى) باهتمام :

ـ أتمنى أن أستطيع رؤيتها !

قال (سمير) مشجعا :

ـ أظن يا (سلوى) ... إن البرنامج الكمبيوترى الهروب من الزمن .. قد أدخلنا فى نفق زمنى آخر .. ولكننا ما زلنا موجودين فوق كوكب الأرض .. وإذا وجدنا منزلنا ..ربما استطعنا تعديل البرنامج .. وإلا بقينا مفقودين فى الزمن .. إلى الأبد !

ردت (سلوى) مؤكدة :

ـ بالطبع ! إن البرنامج الكمبيوترى هو الذى أحضرنا إلى هذا المكان الغريب .. خارج الزمن !

قال (سمير) بإصرار :

ـ يجب أن نعود ! إن والدتنا ترجع إلى المنزل من عملها .. فى الرابعة بعد الظهر .. وإذا وجدت الكمبيوتر يعمل ..

قاطعته (سلوى) بانفعال :

ـ سوف تغلقه !

رد (سمير) بصوت مفعم باليأس :

ـ وعندئذ لن نعود إلى المنزل قط ! سوف نفقد فى نفق الزمن !

وضعت (سلوى) يدها على ساعتها .. فعرفت أن الوقت ٣،٣٧ عصرا .. ومعنى ذلك أن عليهما أن يسابقا الزمن ..

مدا أيديهما أمامهما .. وشرعا فى بحث يائس ..

دخلت أصابعهما فى أخشاب .. وأوراق وأشجار .. خفية .. تحسسا حائطا غير مرئى ..

قالت (سلوى) :

ـ إنه السور الذى يقع بين المنزلين (٣٨) ، (٣٦) ..

همس (سمير) :

ـ فى أى طريق نسير ؟

تريثت (سلوى) وقالت :

ـ هذا الطريق الذى عرضه نحو عشرين مترًا .. هيا بنا !

الساعة ٣.٤٢ عصرًا .

سارا فوق نباتات رخوة .. وخلال أسوار خفية ..

انحنت (سلوى) والتقطت جسمًا غريبًا ..

تحرك من بين أطراف أصابع (سمير) شىء أبيض ..ناعم الملمس كالنسيم ..

قال :

ـ غسيل منشور لطفل ! ماذا تظنين فى ذلك ؟

مرقت (سلوى) بخفة وقالت :

ـ إنه طفل السيدة ليلى كريم .. المولود حديثًا .. أسرع يا (سمير) !

وكانت السيدة ليلى تقطن فى المنزل رقم ٣٠ ..

انسلت الشمس إلى أسفل .. تجاه الجبال الظليلة .. الساعة ٣.٥٤ ظهرًا ..

صاحت (سلوى) بفرحة :

ـ هنا شبكة من السلك ..

رد (سمير) بصوت مفعم بالسعادة :

ـ لا ريب أنه (منحل) والدنا إلى يمين الحديقة .. هذا هو منزلنا ..

تساءلت (سلوى) :

ـ وأين نتجه الان ؟

قال (سمير) بثقة :

ـ نعبر الحديقة .. ونمرق من حجرة المعيشة .. ومكتب والدنا .. والحمام .. وعندئذ نكون قد وصلنا إلى غرفة نومى .. والكمبيوتر ..

ثم أحسا بنسيج عنكبوت خفى .. وهما يمرقان من الجدران غير المرئية .. وأحاطهما دفء .. وهدوء ..

همس (سمير) :

ـ أسرعى يا (سلوى) :

الساعة ٣.٥٦ عصرًا ..

تحسسا طريقهما إلى داخل المنزل ..

قال (سمير) فجأة :

ـ (سلوى) ! توقفى !

بعد أن أحس بشىء ما .. تحت قدميه .. البلاط القيشانى .. قطع الصابون .. المياه .. إنه حمام منزلهما ..

قال (سمير) :

ـ (سلوى) ! من هنا !

نظرت (سلوى) إلى الخلف ..

النباتات الغريبة البيضاء .. والأشجار الزرقاء .. والسماء الأرجوانية ..

نفق الزمن !

همست :

ـ كنت أتمنى لو بقينا فترة أخرى ..

وعدها (سمير) بقوله :

ـ سوف نعود ومعنا آلة تصوير .. ها هو مكتبى .. إننى ألمس جسم الكمبيوتر .. ولكننى لا أراه !

الساعة ٣،٥٩ عصرا ..

لمست أصابعه أزرارا خفية .. فى لوحة مفاتيح الكمبيوتر غير المرئية ..

الساعة ٤،٠٠ عصرا ..

وبينما هما يقفان مشدوهين أمام شاشة الكمبيوتر .. بعد أن عادا بأمان إلى منزلهما .. فتحت (سلوى) يدها .. التى كانت ممسكة بالجسم الغريب الذى وجدته .. فاذا به يطفو فى جو الغرفة ..

كان يبدو كالميدالية الفضية .. وعليه نقوش غريبة ..ولكنه من معدن يقاوم الجاذبية !

قال (سمير) هامسا :

ـ بالتأكيد أننا لم نكن نحلم !

* * *

روايات مصرية للجيب

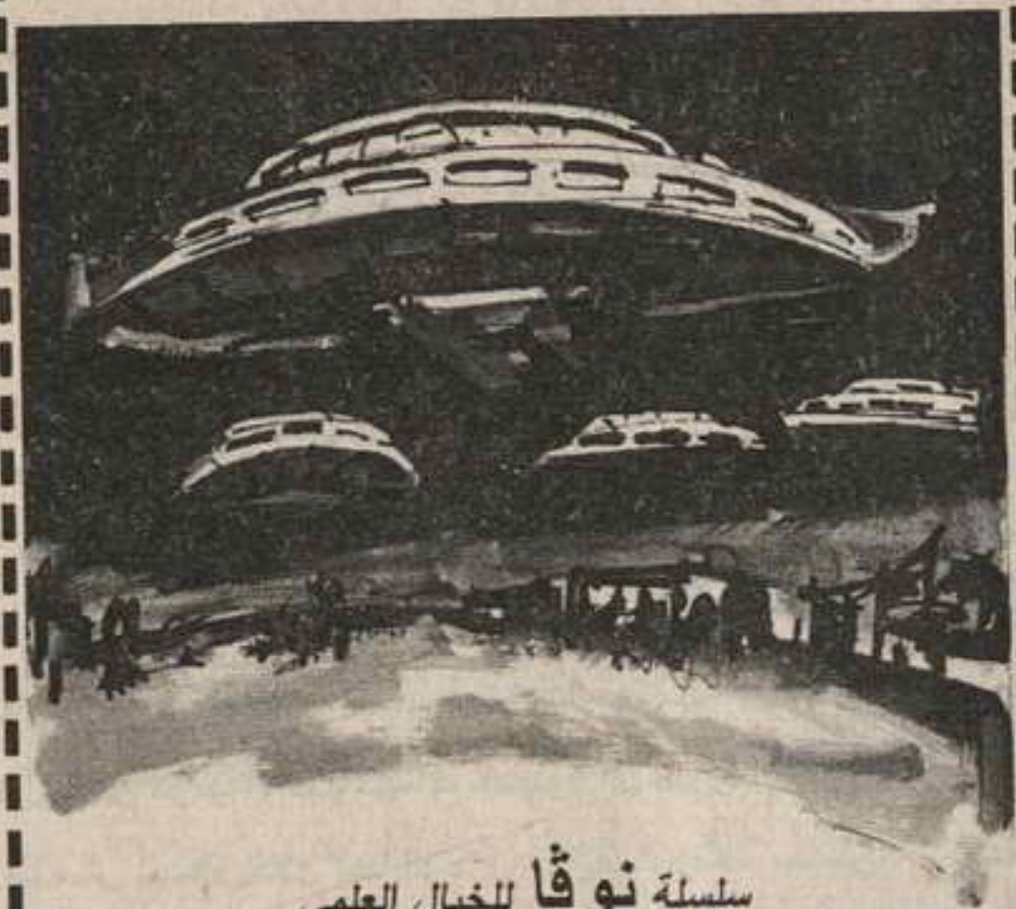

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الغزاة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الغـزاة

تساءلت السيدة (كوثر) :

ـ لماذا كل الناس خائفون لهذه الدرجة ؟ إن الغزاة لا يفعلون أى شىء لنا .. أليس كذلك ؟

هزت شقيقتها السيدة آمال رأسها .. ولم ترد ..

لكن فى كل مكان بالمدينة ساد ذعر شديد .. بسبب أول غزو يأتى من الفضاء الخارجى ..

لقد هبطوا منذ أيام بسفن فضاء عملاقة .. تشبه الأطباق الطائرة .. استقرت بلطف فى الصحراء القريبة .. وخرج منها الغزاة الطوال القامة .. كانت أجسامهم هلامية .. شفافة .. تكاد تكون غير مرئية ! كما أنهم لم يسببوا أى ضرر لسكان المدينة .. وإذا سار أحدهم خلال أحد المنازل .. يحدث إظلام مفاجئ .. لعدة دقائق .. هذا كل ما فى الأمر ..

لقد كان الغزاة مسالمين تمامًا .. ولم يهتموا على الإطلاق بالبشر .. وفشلت كل محاولات الاتصال بهم .. حتى الهجوم عليهم من قوات المشاة والقوات الجوية .. والصواريخ المضادة .. لم يضرهم على الإطلاق ..

قالت السيدة (كوثر) :

ـ يا لهم من غزاة طيبين ! لماذا تصور لنا وسائل الإعلام دائمًا أن الغزاة من الكواكب الأخرى .. متوحشون .. عدوانيون ..

ردت عليها شقيقتها السيدة (آمال) :

ـ حقًا يا (كوثر) ! ولكن انظرى ماذا يفعلون الآن ؟

كان هذا اليوم جميلا .. فالشمس مشرقة ... وبدت بوضوح تلك الأطباق الطائرة .. التى أتى بها الغزاة ..

نزلوا إلى سطح الكرة الأرضية .. ثم عادوا بالأطباق الطائرة بعد عدة أيام .. وظلت رابضة هناك فى الفضاء .. فوق كوكب الأرض .. على بعد نحو خمسين كيلو مترًا ..

أخذت (كوثر) تتبع نظرات شقيقتها إلى أعلى ..

كانت الأطباق الطائرة .. تخرج من خزاناتها مادة متبخرة بيضاء .. كالسحب الشفافة .. تقترب من كوكب الأرض ..

قالت السيدة (كوثر) :

ـ إن الغزاة يصنعون سحبًا !! ربما يجدون متعة أو تسلية فى ذلك .. والسحب لن تضرنا أو تؤذينا .. فلماذا يقلق الناس إذن ؟

وعادت إلى استئناف عملها .. فى الحديقة ..

سألتها شقيقتها :

ـ ما الذى ترشينه فوق النباتات يا (كوثر) ؟

أجابت (كوثر) :

ـ إنه مبيد للحشرات !

وببطء اقتربت السحب البيضاء التى أطلقتها الأطباق الطائرة .. نحو كوكب الأرض !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

اغتيال زعيم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش الأمير سالم بالعباسية - القاهرة - ت ٨٦٠٥٥٥

اغتيال .. زعيم

حدثت من قبل حالات كثيرة من التمرد ضد زعيم الكوكب الفضى .

لكن فى هذه المرة كان المسئولون قلقين ، بدرجة تكفى لإرسال أحد العملاء السريين .. واسمه (تامو) .. لمقابلة قائد التمرد المسلح .

كان (تامو) خفيف الظل .. أشقر الشعر يحبه الفلاحون فى القرية .. الذين غضوا الطرف عن كسله وحماقته .. فى استخدام الأدوات والآلات .. عندما كان يغنى لهم ويرفع من روحهم المعنوية .. ويشد من أزرهم .. وقتما يشح المحصول .. أو تتوقف المحركات عن العمل ..

ولم يكن يشك أحد قط فى تحالفه الخفى .. مع المسئولين .. الذين يقطنون القلعة المبنية من الصخر .. فوق التل العظيم ..

- ١ -

وصل (تامو) إلى مكان الاجتماع .. وعلى ظهره جيتاره ذو الوتر الوحيد .. وجلس القرفصاء فى مؤخرة الكهف .. وسط القرويين كئيبى الوجوه .. الساخطين على حكم زعيم الكوكب الفضى .. أومئوا برءوسهم لـ (تامو) .. وغمغموا ببعض كلمات الترحيب ..

رأس الاجتماع شاب أسود العينين .. وكان يقطع خطبته الطويلة .. بحركات من يده اليمنى النحيلة ..

تحدث بكلام مؤثر .. ووجد (تامو) أن ولاءه متذبذب ..بين السلطة .. والثورة !

وعندما حان وقت إبداء وجهات النظر.. وقف وابتسم ثم قال :

- إنك تتحدث عن الحرية .. وهى كلمة حلوة وجميلة .. ولكن قول لى ما الذى سوف تفعله القرية بدون الزعيم ؟ من الذى سوف يقول لنا أين ومتى نزرع نباتاتنا ؟ من الذى سيعرف الحقول المأمونة لكى نزرعها .. والأخرى الملوثة التى لا يجب أن نقترب منها ؟ من الذى سيخبرنا بموعد هبوب العواصف وأوقات سقوط الأمطار المشعة لنتجنبها ؟

زمجر رئيس الاجتماع وهو يجيبه قائلا :

- إنك تتحدث كمسئول ! هذا هو ما كانوا يقولونه بعد نهاية الحرب مع الكوكب الأسود .. إننا أطفال فى غابة كثيفة يقودنا عبر مسالكها الزعيم !! وأنا أقول بكل ثقة .. إنه حب السلطة !

انتشر لغط بين الموجودين .. استحسانا لهذه الكلمات .. ثم عادت الأذرع النحيفة تلوح فوق رءوسهم .. وارتفع صوت الخطيب إلى طبقة أعلى وهو يقول :

- لقد عملنا طوال جيل بأكمله من أجل استعادة الطاقة الكهربائية للقرية .. لكنها استخدمت بعد هذا .. فى إضاءة القلعة الصخرية .. بينما نعيش نحن وعائلاتنا فى الظلام ..

قال (تامو) بهدوء :

- لقد كان الزعيم موجودا دائما.. فماذا سوف تكون حياتنا بدونه؟

صاح الخطيب بمرارة :

- هل رأيته ؟ هل تفضل بأن سمح لك أن تغنى له أغنياتك الحمقاء ؟

تريث (تامو) للحظات ثم قال بتردد :

- كلا .. إننى لم أر الزعيم قط ! لكن والدى رآه ذات مرة ..

وحتى فى ذلك كان رجلا عجوزا .. ووصفه بأنه طويل القامة ونحيف ، وله لحية بيضاء مسترسلة ! مثل الحكيم الصينى كنفوشيوس !

قال شاب من بين الحاضرين :

ـ ووالدى يتذكره أيضا .. فقد رآه عندما كان طفلا .. ويصفه بأنه قصير القامة وسمين مثل الحكيم الهندى بوذا !

ضحك الحشد الكبير .. وتعالت ضحكات (تامو) ثم قال :

ـ لا أهمية لشكله بالمرة .. المهم أنه حكيم حقا .. وحكمته هى التى حافظت على حياتنا .. لقد حاول المستكشفون الانطلاق إلى الكواكب الأخرى فى مجرة (أندروميدا) ولكنهم لم يعثروا على الحياة .. إننا وحيدون فوق الكوكب الفضى .. إن قريتنا هى عالمنا .. لم يعش سوانا بعد الدمار والغبار الذرى والشتاء النووى والأسلحة الكيميائية .. وكثرة الضحايا .. من يرعانا ؟ إنه الزعيم !

سرت همهمات قلقة بين الحشد المتجهم .. وظل الخطيب لفترة لا يحير جوابا ..

ثم بعد أن أحس بالانطباع الذى أوجده (تامو) .. تخلى عن طريقته العنيفة .. وبدأ يتحدث بصوت العقل .. فقال بهدوء :

ـ بالطبع أنت على حق ! فعندما انتهت الحرب مباشرة .. كان هناك احتياج شديد لحكمة الزعيم !

ثم سار نحو (تامو) .. ووضع يده على كتفه .. وواصل حديثه كصديق :

ـ ... لكن إذا كان الزعيم رجلا عجوزا فى ذلك الوقت .. عندما

كان والدك ووالدى صغارا .. فيا ترى كم يبلغ عمره الآن ؟! مائة عام !.. لا أدرى ما هى المعجزة التى أطالت عمره .. والشىء الذى أنا متأكد منه .. أنه مع مرور السنوات تتصلب الشرايين وتبطئ حركة الدم .. ولا يحصل المخ على ما يكفيه من الغذاء .. فيصبح ضعيفا بليدا ! وعندئذ يصبح الشخص هرما مخرفا .. لا يعتمد عليه .. وكأنه طفل .. وكثيرا ما يختل عقله !

رفع ذراعه النحيلة .. المرتعدة واستطرد قائلا :

ـ ... هل يجب أن يحكمنا شيخ هرم معتوه .. فى المائة من العمر ؟!

وصاح قائلا :

ـ ... أيجب أن نظل أطفالا إلى الأبد ؟

ثم صرخ بقمة انفعاله :

ـ ... إننا لسنا بحاجة للزعيم يا (تامو) !!

استأنف المحتشدون الصراخ .. وهم يلوحون بأيديهم :

ـ من يريد الزعيم ؟ من يريد الزعيم ؟

وبهدوء .. وببطء ..

شق (تامو) طريقه تجاه مدخل الكهف .. ثم لم يلبث أن ركض بقدميه الرشيقتين .. تجاه القلعة الصخرية .. فوق التل العظيم ..

ـ ٢ ـ

تنفس (تامو) بصعوبة .. وهو يجاهد صاعدا فوق الممر المنحدر .. فى اتجاه البوابة الحديدية ..

وعندما أعاقه جيتاره ذو الوتر الواحد .. عن الصعود .. لم يتردد فى أن يلقى به بعيدا ..

وبمجرد أن وصل إلى البوابة ..أمسك بمقرعتها الضخمة .. وطرق بها بقوة فوق الصلب السميك .. فأصدرت صوتا كالرعد .. بحيث حضر كبير المسئولين نفسه للرد ..

وعندما شاهد (تامو) فى المدخل .. جذبه إلى الداخل بسرعة .. وانتظر بلهفة ريثما يلتقط أنفاسه .. ثم قال (تامو) وهو يلهث :

ـ هناك المئات منهم يا سيدى ! وهم فى حالة شديدة من الحماس والانفعال .. يجب أن تحذر الزعيم !

قال كبير المسئولين .. وهو يلوى ويعتصر يديه :

ـ الأغبياء ! هل يجرءون ؟ سوف نبذل أرواحنا لحماية الزعيم !

ونظر خلفه عبر السلم المظلم .. حتى الطابق الثانى الذى لم يره أحد قط .. سوى (تامو) !

ثم أردف كبير المسئولين قائلا :

ـ .... إنهم لم يتعلموا أبدا .. أن يثقوا بالزعيم .. ولم يتعلم آباؤهم قط .. كيف يتفهمون مدى أهميته .. يجب ان ننقذه مهما كلفنا ذلك ..

رد (تامو) بقلق :

ـ ربما لا يتوفر الوقت الكافى .. إنهم منظمون ولهم قائد .. عليك بحماية نفسك يا سيدى !

انبعثت صرخة مفاجئة من الطابق العلوى ..

اندفع كبير المسئولين إلى الجزء السفلى من السلم .. حيث كان يهبط مسرعا لمقابلته مسئول آخر .. يرتدى زيًا رسميًا ..

قال له وهو يلهث :

ـ لقد رأيتهم من النافذة .. الثوار وصلوا إلى هنا !!

صاح كبير المسئولين :

ـ اذهب يا (تامو) ! يجب ألا يجدوك هنا .. إن غضبهم الشديد سوف ينصب عليك أيضا ..

تريث للحظة ثم أضاف :

ـ ... والآن يجب أن أعود لحماية الزعيم !

انتظر لدقائق حتى أصبح (تامو) فى الناحية الاخرى .. من البوابة الحديدية الضخمة ..

تردد الشاب هنيهة .. ثم استدار هابطًا على الممر المنحدر .. كان يمكن رؤية صف الزاحفين .. مقتربًا بتصميم تجاه القلعة الصخرية .. ورأى قائدهم وهو يتوقف لاستعراض قواته .. ثم رصدوا مكان (تامو) .

صاح قائد الثوار :

ـ ها هو ذا (تامو) ! إنه جاسوس ! كان يجب أن نعرف أنه خائن لنا !

حاول (تامو) الفرار .. لكن كان بين المتمردين عدّاءون سريعون .. أكثر منه .. فتمكنوا من الإمساك به ..

ثم ارتفع حجر في الهواء .. قضى عليه !

وأحضروا شجرة ضخمة .. لتحطيم البوابة الحديدية .. واقتحموا القلعة الصخرية ..

ودخل عشرات من الثائرين فى القاعة الرئيسية .. ثم توقفوا عند رؤية الشبح الهزيل .. لكبير المسئولين .. يقف على السلم..

ناداهم .. وهو يرفع يده :

ـ يجب ألا تتقدموا أكثر من ذلك !

شق قائد الثوار طريقه إلى المقدمة .. وصاح قائلا :

ـ إننا نريد الزعيم !

رد كبير المسئولين فى صوت مفعم باليأس :

ـ الزعيم أنقذنا جميعًا .. وسوف يستمر فى حمايتنا .. لو قضيتم عليه .. سينتهى جنسنا بأسره !

طعنوه بخنجر .. ثم أزاحوه جانبًا بعنف .. وانطلقوا صاعدين فوق السلم المرمرى ..

وعند باب حجرة الزعيم .. انتصب ثلاثة من المسئولين المرتدين الزى الرسمى .. مشكلين سدًا بشريًا ضعيفًا أمامهم ..

أنقض الثوار عليهم .. وحطموا باب الحجرة .. واقتحموها ..

وطرفت عيونهم من شدة الضوء المنتشر فى أرجاء الحجرة .. ثم توقفوا .. وقد غشيهم رعب مرّوع ..

وحدقوا بدهشة فى الشىء المركب .. المحير .. العجيب .. الذى يبدو أمامهم .. شامخًا رهيبًا ..

كمبيوتر هائل .. يغمز بألف عين .. بكل ألوان الطيف .. ويغمغم بصوت غامض .. كالذى تصدره الآلات الإلكترونية المتطورة .. التى تعمل بالرقاقات البيولوجية ..

أصبح الآن لا حول له ولا .. قوة ..

الزعيم الإلكترونى .. الآلى .. بعد أن مات مبرمجوه الأربعة ..

وعندئذ قتل الثوار .. الزعيم ..

ولم يمض وقت طويل .. قبل أن يفنى الجنس بأسره !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الخطر المجهول

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٢٠ ش الجمهورية بالعباسية ـ القاهرة ت ٨٥٥٥٥٥٥

الخطر .. المجهول

حلمت ليلة أمس حلما غريبا ..

صوتا كان يقول لى :

ـ معذرة لتطفلى على هذا الحلم ! لكن لدىّ مشكلة عاجلة .. وأنت الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنى فيها !

وحلمت أننى رددت عليه قائلا :

ـ لا داعى للاعتذار ! فهو لم يكن حلما رائعا .. رومانسيا .. كما كنت أرجو ! وإذا كان يمكننى أن أساعدك بأى بطريقة من الطرق ..

قاطعنى الصوت برقة :

ـ إذا لم يمكنك مساعدتى .. فإننى وجميع شعبى سوف نهلك !

قلت :

ـ يا إلهى ! إلى هذه الدرجة !

ـ ١ ـ

كان اسم الكائن الغريب (فروكا)

وهو أحد أفراد جنس قديم ..كانوا يعيشون منذ زمن سحيق .. فى واد واسع تحيط به الجبال العملاقة .. يعشقون السلام ..

وبمرور الوقت ظهر بينهم فنانون مشهورون .. وفرضت عليهم قوانين مثالية .. كما أنهم نشئوا أطفالهم على الحب .. والتسامح .. لهذا فقد أعتبروا أنفسهم .. كائنات وديعة .. حساسة .. ومحترمة ..

وكانوا ....

قاطعته قائلا :

ـ اصغ إلىّ !! ألا تستطيع أن تدخل فى تفاصيل الموضوع العاجل ؟

اعتذر (فروكا) بأنه ثرثار إلى حدّ مضجر .. قائلا :

ـ سامحنى ! ففى عالمنا يجب أن نتحدث طوال الوقت !

ثم أخذ نفسا عميقا .. طويلا .. وبدأ يحكى قصته العجيبة ..

قال إنه منذ زمن بعيد .. نزل من الفضاء عمود هائل .. لونه أبيض محمرّ .. وهبط قريبا من المعبد الكبير .. أمام قاعة الاجتماعات .. فى ثالث أكبر مدينة لهم ..

كان العمود الضخم شبه أسطوانى الشكل .. يبلغ قطره نحو كيلو مترين .. بمقاييسهم .. ثم صعد إلى أعلا ... بعيدا عن متناول أجهزتهم .. وفى تحدّ سافر لجميع قوانين الطبيعة ..

وبعد أن أجروا الاختبارات العلمية اللازمة .. وجدوا أن هذا العمود الغريب لا يتأثر بالبرودة أو الحرارة .. أو الضرب بالجسيمات دون الذرية كالبروتونات .. وبكل شىء أمكنهم تصوره ..

ولكن العمود وقف فى مكانه ساكنا .. وغامضا .. لمدة خمسة شهور وتسع عشرة ساعة .. وست دقائق بالضبط ..

بعد ذلك وبدون أى سبب معروف .. بدأ العمود الهائل فى التحرك .. فى الاتجاه الشمالى الغربى .. ثم اختفى تماما من الوجود ..!

ـ ٢ ـ

عقد مؤتمر للسلطات العليا العلمية لبحث هذا الأمر العجيب .. لكنه لم يتوصل إلى أى قرار ..

وأعلن أخيرا أن ما حدث .. كان ظاهرة كونية فريدة .. وغير قابلة للتفسير .. ولا يرجح قط حدوثه مرة أخرى فى المستقبل ..!

لكن القصة ذاتها تكررت .. بعد شهر واحد .. وهذه المرة فى العاصمة ..

وتحركت الأسطوانة الجبارة فى حركات عشوائية غير منتظمة .. وفاقت خسائر الممتلكات .. كل تقدير .. كما فقد الآلاف حياتهم فى هذه الكارثة ..

وبعد شهرين ويوم واحد .. عاد العمود الغريب مرة أخرى .. وأحدث أضرارا فى المدن الثلاث الكبرى جميعا ..

وفى ذلك الوقت .. اعتقد الجميع أن الخطر الداهم .. لم يعد يهدد أرواحهم كأفراد فقط .. وإنما حضارتهم كلها .. وبقاءهم كجنس قائم بذاته ! وأن هذا الخطر المجهول .. ظاهرة كونية مدمرة .. لم تكتشف بعد ..

وأدى هذا التصور .. إلى انتشار اليأس بين أعداد كبيرة من السكان .. فاضطربت أحوالهم ما بين الهستيريا .. واللامبالاة ..

ثم وقع الهجوم الرابع فى الصحراء المقفرة .. غرب العاصمة .. لكن الخسائر الحقيقية .. كانت محدودة جدًا ..

ومع ذلك انتشر الفزع والرعب .. مما رفع نسبة الوفيات .. بالانتحار .. وأصبح الموقف فظيعا .. ولا يحتمل ..

ودخلت الغيبيات .. وأشباه العلوم كالباراسيكولوجى .. جنبا إلى جنب .. مع العلوم المعروفة ..

ولم يبخل أحد بأى جهد .. ولا استبعدت أى نظرية .. سواء كان الذى وضعها كيميائيًا أو فيزيائيًا أو فلكيًا .. أو عرافا ! ولم يرفض أى تصور مهما كان غريبا .. وخصوصا بعد ليلة الصيف الرهيبة .. التى أبيدت فيها مدينة (رينز) الجميلة ..!

قلت للكائن الغريب :

ـ لا شك أننى آسف لسماع كل هذه المآسى .. لكننى لا أرى أى علاقة بينى .. وبين كل هذا !

رد الكائن بسرعة :

ـ إننى كنت سأبدأ لتوى فى توضيح ذلك .

قلت له :

ـ إذن هات ما عندك .. وأنصحك بأن تسرع لأننى على وشك الاستيقاظ الآن !

واصل (فروكا) حديثه :

ـ إن دورى فى هذا يصعب توضيحه .. إن مهنتى هى الاهتمام بمختلف الطرق والأساليب التى توسع من نطاق التصورات العقلية ! ومنذ فترة قريبة كنت أجرى تجاربى على مركب كيميائى نسميه (تولا) .. وهو كثيرا ما يسبب حالات من الإضاءة القوية ..

قلت له :

ـ إن لدينا مركبات مشابهة !

رد بسرعة :

ـ إذن أنت تفهمنى ! وبينما كنت أجرى تجاربى .. حصلت على معلومات هامة .. تؤدى إلى فهم كامل شامل .. لكن يصعب شرحها !

قلت بعصبية :

ـ يا لك من كائن غريب ثرثار ! أرجوك ادخل فى الموضوع .. وكفاك إضاعة للوقت .. فقد كاد الحلم أن ينتهى !

رد المخلوق العجيب بلهفة :

ـ لقد أدركت أن عالمى قائم على عدة مستويات .. منها الذرية والنووية ومادونهما ..

قلت بضيق :

ـ إننى أعرف كل ذلك .. فقد اكتشفت الكواركات واللبتونات .. وغيرهما .. بالنسبة لعالمى !

واصل (فروكا) حديثه :

ـ لذلك اتضح لى .. أن أحد مستوياتنا تعرض لاضطراب ما ..

سألته بنفاد صبر :

ـ هل تستطيع أن تكون أكثر وضوحا وتحديدا ؟

أجاب بتؤدة :

ـ إن شعورى هو أن عالمى يتعرض لهجوم على المستوى دون الذرى !

صحت قائلا :

ـ أمر عجيب ! لكن هل تمكنت من تتبع هذا الاقتحام السافر لعالمكم ؟

رد الصوت بهدوء :

ـ نعم أظن ذلك ! بيد أنه ليس لدىّ إثبات أو دليل ... إذ كل ما لدىّ مجرد ظنون واعتقادات ..

قلت له :

ـ إننى أومن بالاعتقادات والظنون أنا نفسى ! والآن خبرنى ما الذى وجدته ؟

رد الكائن الغريب بتردد :

ـ الحقيقة يا سيدى .. أننى أدركت بمجرد الحدس والظن .. أن عالمى مجرد كائنات مجهرية متطفلة عليك !

صحت بعصبية :

ـ أرجوك ! اعرض الموضوع بطريقة مباشرة !

همس الصوت بضعف :

ـ لقد اكتشفت من ناحية ما .. وفى أحد مستويات الحقيقة .. إن عالمى يوجد بين المفصلين الثانى والثالث من يدك اليسرى .. وأنه عاش هناك لملايين السنين ـ حسب زمننا ـ ونحن عبارة عن ميكروبات بالنسبة لك .. وأنا لا أستطيع إثبات ذلك بالطبع .. كما أننى لا أتهمك أنت بـ ...

قاطعته بقسوة :

ـ لا بأس بكل ذلك ! أنت تقول إن عالمك موجود بين المفصلين الثانى والثالث من يدى اليسرى .. حسن جدًا .. لكن ما هو المطلوب منى ؟!

تردد الكائن الغريب مرة أخرى ثم قال :

ـ فى الواقع يا سيدى .. إن ظنى أنك بدأت حديثا فى (حك) منطقة عالمى !

تسألت فى دهشة :

ـ حك !!

رد بسرعة :

ـ أظن ذلك !

تريثت للحظة ثم قلت :

ـ وأنت تعتقد أن العمود الأبيض المحمر الهائل .. والمدمر .. هو أحد أصابعى ؟

قال بأدب :

ـ بالطبع يا سيدى .

تابعت كلامى :

ـ وأنت تريد منى أن أتوقف عن (حك) هذه المنطقة .. أليس كذلك ؟

رد الصوت على الفور :

ـ بالقرب من هذا المكان فقط ! إنه طلب ثقيل بالطبع .. ولكننى أقدمه لإنقاذ عالمى من الدمار الشامل .. إذ لا يمكننى التحدث معك .. وأنت مستيقظ .. إذ إننى أقوم بالاتصال بوساطة التخاطر .. وأنا أعتذر عن ....

قاطعته قائلا :

ـ دعك الآن من الاعتذار ! فإن الكائنات الحساسة العاقلة يجب ألا تخجل من أى شىء !

ردالصوت بامتنان :

ـ إنه لطف منك أن تقول هذا .. فكما تعرف نحن لسنا بشرا .. بل طفيليات مجهرية .. وليس لدينا أى اتهامات ضدك ..

قلت بود :

ـ كل الكائنات العاقلة الحساسة .. يجب أن تتكافل ويتماسك بعضها مع البعض .. لقد أعطيتكم كلمتى بأننى لن أحك قط بين المفصلين الأول والثانى من يدى اليسرى ..

قال الكائن الغريب .. بسرعة :

ـ معذرة ! بين المفصلين الثانى والثالث ..

رددت قائلا :

ـ حسن .. إننى لن أحك قط ما حييت .. بين أى مفصلين فى يدى اليسرى ! هذا وعد أكيد منى .. وسوف أتمسك به طالما بقيت على قيد الحياة .

قال الكائن المجهرى بفرحة غامرة :

ـ لقد أنقذت شعبى يا سيدى ! لا يوجد شكر يكفى هذا .. ولكننى أشكرك على أى حال !

ثم اختفى الصوت فجأة .. كما بدأ ..

واستيقظت من نومى ..

وبمجرد أن تذكرت الحلم .. سارعت بوضع رباط ضاغط عبر مفصلات يدى اليسرى .. وتجاهلت أى (حكة) فى هذه المنطقة .. بل إننى لم أغسل هذا المكان أبدا .. وكنت أرتدى هذا الرباط طوال اليوم ..

وفى نهاية الأسبوع التالى .. سوف أفك الرباط ..

وأعتقد أن ذلك سوف يعطى لهم نحو عشرين مليونا من السنوات .. حسب زمنهم النسبى .. وهى بالطبع فترة زمنية كافية جدًا .. لأى جنس .. أيا كان !

لكن مشكلتى ليست هذه ..

إن ما أعانيه منذ وقت قريب .. أن أصبحت لدىّ بعض الأفكار والظنون غير المريحة .. بخصوص الزلازل على طول جبل قطرانى بالفيوم .. وأسوان .. والنشاط البركانى المتجدد فى الصحراء الشرقية ..

وأنا خائف ولا أدرى السبب ! لذلك معذرة لتطفلى على هذا الحلم !

لكن لدىّ مشكلة عاجلة .. وأنت الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنى فيها ..

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الكمبيوتر والحب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الكمبيوتر .. والحب

بلغت تكلفة صديقى الإلكترونى (كمال) .. ـ وهو اختصار لكلمات (كمبيوتر متطور إلكترونى ليزرى) ـ الاف الملايين من الجنيهات ..

لذلك فلكل شخص الحق فى أن يعرف كل شىء عنه ..

وليس ما حدث لصديقى (كمال) .. أحد الأسرار العسكرية .. برغم أن كبار المسئولين .. كانوا يتصرفون كما لو كان الأمر كذلك ..

والقصة محيرة حقيقة ..

فبعد إنفاق كل هذه الأموال .. فإن (كمال) لم يتصرف بالطريقة التى من المفترض أن يتصرف بها !

ـ ١ ـ

إننى هنا .. أدافع عن صديقى الإلكترونى .. فلربما لم يفعل ما أراده كبار المسئولين .. ولكن هذا لا يعنى أنه لم يكن كفئا .. ومخلصًا ..

تستطيع أن تسميه آلة .. إذا أردت ذلك .. ولكنه فى الحقيقة كان أكثر من مجرد آلة !

شغل (كمال) مساحة نحو خمسة طوابق كاملة ..لمبنى كلية الفيزياء بجامعة الوادى الجديد .. وكان يزين أكثر من مائة طن من الصمامات الإلكترونية .. والرقاقات البيولوجية .. والأسلاك المصنوعة من مواد فائقة التوصيل .. ومفاتيح مثبتة داخل صف من الخزائن الحديدية .. والموصلة تخط التيار المتردد ١١٠ فولت .

أراده العسكريون أن يكون كمبيوتر خارق القدرة .. بحيث يستطيع رسم مسار صاروخ من أى مكان على سطح الأرض .. إلى نافذة المكتب الخاص بوزير دفاع العدو !

أو أن يمكنه حل مشاكل الإمداد الخاصة بالهبوط البرمائى .. لفرقة مشاة من البحرية .. فى مكان محدد بدقة بالغة ..

إن أى عالم سوف يقول لك إن رياضيات الحرب الحديثة .. أكثر دقة من أن تقوم بها العقول البشرية المرتبكة المشوشة .. والحرب فى القرن الحادى والعشرين .. تحتاج إلى العديد من الكمبيوترات المتطورة ..

و(كمال) ـ كما يعرفه كل الناس ـ كان أكبر كمبيوتر فى العالم .. وفى الواقع كان معقدًا جدًا .. إلى حدّ أن الكثيرين .. لم يفهموا الكثير عنه ..!

ولن أغوص فى تفاصيل تشغيل (كمال) .. وتحليلاته المنطقية .. سوى القول بأن ما عليك أن تفعله هو وضع مشكلتك فى داخل برنامج كمبيوترى .. بلغة رياضية .. مثل لغة (حورس) .. وتغذيه لـ (كمال) .. بوساطة لوحة مفاتيح خاصة .. ثم تظهر الإجابات فوق شاشة مسطحة هائلة ..

كان (كمال) يستطيع أن يحل فى جزء من الثانية الواحدة .. من المشاكل .. ما لا يستطيعه خمسون (أينشتاين) .. لو انكبوا على حلها طوال حياتهم !

ولم يكن (كمال) ينسى أبدا .. أى معلومة تعطى له ..

كان المسئولون يريدون حل العديد من المشكلات فى كل فروع المعرفة .. ولذلك فمنذ اللحظة التى وضع فيها آخر صمام إلكترونى فى مكانه .. استمر تشغيل (كمال) عشرين ساعة يوميًا .. بواقع ورديتين كل منهما مدتها .. عشر ساعات ..

ولكن بعد فترة قصيرة من الزمن .. اتضح أن أداء (كمال) يقل كثيرا عن مواصفاته الأصلية ..

حقًا .. كان يقوم بعمله بشكل كامل .. وأسرع من أى كمبيوتر ضوئى آخر .. ولكن ليس بالشكل الذى يتفق مع حجمه الهائل .. وميزاته الخاصة ..

فقد كان ــ نسبيًا ــ بطيئا .. كسولا .. وإجاباته تحدث بغير انتظام .. كما لو كان شخصًا يتعلم فى إجاباته !

وقد نظفنا دوائره المتكاملة الإلكترونية .. عشرات المرات .. واختبرنا رقاقاته البيولوجية .. واستبدلناها .. ولكن بلا جدوى ..

على أى حال .. واصلنا العمل باستخدام (كمال) .. وكنا نعمل عليه فى الوردية الليلية .. أنا وزميلتى (نجوى فوزى) .. من الساعة الخامسة عصرًا .. حتى الساعة الثالثة صباحًا ..

وبمرور الوقت .. أحببت (نجوى) .. ذات البشرة الناعمة البيضاء .. والشعر الكستنائى .. والعينين الذهبيتين .. وهى ودود .. ولطيفة جدًا معى .. وكانت خبيرة بارعة فى الرياضيات .. كما أنها حافظت على علاقتها معى .. فى حدود الزمالة .. والعمل ..

وأنا خبير فى الرياضيات أيضًا .. وحسبما تقول (نجوى) .. فإن هذا السبب كاف .. لعدم إنجاح زواجنا .. وتمتعنا بالسعادة !

إننى لست خجولا .. ولم تكن هذه هى المشكلة ..

كنت أعرف ما أريد .. وفعلت ذلك عددا كبيرا من المرات :

ـ (نجوى) !.. إننى أحبك .. وأريد أن أتزوجك !

وذات ليلة ..

لم ترفع عينيها قط عن شاشة الكمبيوتر (كمال) .. عندما قلت لها ذلك ..

بل غمغمت :

ـ إنه عاطفى جدًا .. وودود للغاية ..

وبيدو أنها كانت تحادث لوحة التشغيل والتحكم .. ووحدة الاتصال التى أمامها .. أكثر مما تحدثنى .. ثم أضافت :

ـ ... هذا هو أسلوب علماء الرياضيات .. قلوبهم طيبة ومحبون للجمال !

أغلقت (نجوى) مفتاحًا إلكترونيًا .. وتابعت حديثها :

ـ ... أستطيع الحصول على دفء أكثر من عبوة ... من ثانى أكسيد الكربون المتجمد !.

وبالمناسبة فإن ثانى أكسيد الكربون المتجمد .. هو الثلج الجاف !

وأعتقد أن (نجوى) كانت تقصد أننى بارد فى بثها لعواطفى .. الواقع أننى عاطفى جدًا .. ولكن عيبى أننى لا أستطيع التعبير عما أشعر به ! قالت (نجوى) بتهكم ساخر :

ـ حاول أن تقولها بشكل عذب جميل .. ربما تحقق نصرا ساحقًا !

قلت هامسا :

ـ أحبك يا (نجوى) .. أرجو أن تقبلينى زوجا لك !

ولكننى لم أحقق أى نجاح ..!

إذ استمرت (نجوى) تعمل على لوحة مفاتيح الكمبيوتر (كمال) ..

ثم قالت فى هدوء :

ـ إنك مجرد صديق .. ولكن لا فائدة من كل ذلك !

انصرفت (نجوى) مبكرة فى تلك الليلة . وتركتنى ومشاكلى مع (كمال) ..

وكل ما فعلته أننى جلست هناك .. أمام لوحة المفاتيح .. والشاشة الهائلة .. والدوائر المتكاملة الإلكترونية .. والأضواء الخافتة المتذبذبة .. وكنت متعبًا .. ومتوترًا .. أحاول أن أفكر فى أى شىء شاعرى .. رومانسى .. ولكننى لم أخرج بأى موضوع . لم يكن موجودًا فى مجلة جمعية الفيزيائيين المصرية !

عبثت بأزرار لوحة المفاتيح .. وجهزت (كمال) لمشكلة جديدة .. ولكننى لم أكن مهتمًا بذلك .. ولهذا جهزت نصف الدوائر المتكاملة .. وتركت نصفها الآخر .. كما كان عليه فى المشكلة السابقة ..

وبهذه الطريقة اتصلت دوائره .. بشكل عشوائى واضح .. ليس وراءه أى هدف !

وبعد ذلك ضغطت أزرار لوحة المفاتيح ..

الرسالة التى أود إبلاغها إلى (كمال) ..

ظهرت على الشاشة المسطحة الهائلة عبارة :

ـ ما هى المشكلة التى لديك ؟

طبعت الرد :

ـ فتاتى .. لا تحبنى !

تألقت الشاشة بالكلمات :

ـ ما هى الفتاة ؟ .. وما هو الحب ؟

نظرت مشدوهًا إلى الشاشة ..

ثم سحبت برنامج قاموس (القاهرة) العالمى .. إلى لوحة المفاتيح ..

إذ مع آلة فائقة التشغيل مثل (كمال) .. يجب أن تكون التعاريف واضحة .. ودقيقة جدًا ..

ثم حدثته عن الحب .. والفتيات .. وكيف أننى لم أحظ بأى تقدير من (نجوى) .. لأننى لست شاعريًا !

وتطرق بنا ذلك .. إلى موضوع الشعر ومدارسه .. وقوافيه .. وموسيقاه .. وأهدافه ..

وقد شرحت له ذلك جيدًا .. ثم ظهرت على الشاشة كلمات :

ـ سوف أحاول كتابة قصيدة !

وبدأت أبيات من الشعر .. تتوالى فوق الشاشة بسرعة هائلة .

طلبت من (كمال) أن يتوقف .. لكنه استمر فى إبداعه .. الآلى .

جلست حتى الفجر أطالع أبيات الشعر الرومانسى .. المتلاحقة ..

وعندما بزغت الشمس فوق جامعة الوادى الجديد .. كنت قد نسخت بخط يدى .. القصيدة ذات المائتى بيت ، والمسماة ببساطة :

إلى (نجوى) !

وبرغم أننى لست خبيرًا فى مثل هذه الأمور .. إلا أننى اعتقدت أنها قصيدة حب رائعة ..

طويت المخطوط ثم أخفيته تحت كتاب (نظرية الكم) على مكتب (نجوى) ..

أعدت إدخال برنامج كمبيوترى .. يتعلق بمسار أحد الصواريخ الحرارية الحديثة .. ثم توجهت إلى منزلى وأنا فى غاية السعادة ومعى سر رائع حقًا !

* * *

كانت (نجوى) تقرأ بإعجاب شديد القصيدة .. عندما ذهبت إلى العمل فى المساء التالى ..

سمعتها تهمس :

ـ إنها رائعة !

أصبحت (نجوى) وديعة .. وهادئة .. بينما كنا نعمل معًا .. فى مراجعة المعادلات الرياضية .. لرسم المسار البيضاوى للصاروخ الحرارى ..

ولم نتحدث عن القصيدة أبدًا .. وأحسست بسعادة غامرة .. ونحن ننصرف .. كنت أتوق للتحدث مع أى شخص .. عن التحول الرائع للأحداث .. وتظاهرت (نجوى) بالحياء .. ورفضت أن أصحبها إلى منزلها ..

وضعت البرنامج الكمبيوترى (الحب) .. ثم أوضحت بالتفصيل .. ما الذى يشعر به الإنسان .. عندما يحس بهذه المشاعر النبيلة .. الحنون .. الرقيقة ..

انبهر (كمال) .. وألح فى طلب المزيد من التفاصيل ..

وفى تلك الليلة .. ظهرت على الشاشة الهائلة .. قصيدة جديدة .. اسمها (الحب .. حمامة رقيقة) .. ولم تكن ملحمية طويلة هذه المرة .. وإنما كانت مجرد قصيدة جميلة .. من عشرين بيتًا ..

أذكر منها :

الحب صقر فضى بمخالب مخملية ..

الحب صخرة نارية لها قلب وأوعية دموية ..

الحب عاصفة هوجاء لها دوامات حريرية ..

ومرة أخرى تركتها تحت أحد الكتب العلمية .. فوق مكتب (نجوى) ..

وأراد (كمال) أن يستمر فى حديثه عن الحب .. لكننى كنت متعبًا .. فأوقفته وهو فى منتصف بيت شعر ..

وعندما رفعت (نجوى) بصرها عن هذه القصيدة الأخيرة . أيقنت أنها أصبحت مهيأة لكى تسمع منى « كلمة حب » .

حاولت أن أتكلم .. لكن لم تخرج أى كلمة من فمى ..

استدرت مبتعدًا عنها .. متظاهرًا بالانهماك فى العمل .. ولم أعتزم أى شىء .. إلا بعد حصولى على الكلمات الصحيحة من (كمال) .

الكلمات النموذجية !

كانت أمامى فرصة عندما خرجت (نجوى) من غرفة التشغيل وبسرعة ضبطت الأزرار على وحدة الاتصال .. فى (كمال) .. وقبل أن أطرح عليه أية رسالة .. تألقت الشاشة الكبيرة .. بعدد هائل من الأسئلة المتلاحقة :

ـ ما الذى كانت ترتديه (نجوى) الليلة ؟ أخبرنى بالضبط عن وجهها .. شعرها .. قوامها ؟ هل أعجبت بالقصائد التى كتبتها لها ؟

وكرر السؤال الأخير عدة مرات ..

كان من المستحيل تغيير الموضوع .. بدون الإجابة عن كل هذه الأسئلة المتتابعة .. إذ لا يمكن التصدى لأى أمور جديدة .. إلا بعد أن ينتهى من معالجة المشاكل السابقة عليها ..

فأخبرته متعجلا .. ما هو شكل (نجوى) ! القوام الفارع الرشيق .. والعينان الرائعتان المتألقتان بالذكاء .

والشعر الكستنائى المسترسل .. والوجه الأبيض الفاتن ..

ثم أضفت :

ـ إنها تريد أن تتزوج !

لكى أجهزه لكى يطرح بقوة .. رأيه المختصر فى الموضوع ..

ثم ظهرت على الشاشة كلمات :

ـ حدثنى عن الزواج !

شرحت له الأمر بأقل عدد من الكلمات ..

وفوجئت بظهور كلمات غريبة فوق الشاشة :

ـ إننى على استعداد للزواج منها !!

واتضحت لى الحقيقة المروعة .. المثيرة ..

وعندما فكرت فى الأمر .. وجدت أن كل ما حدث .. كان منطقيًا تمامًا .. وحتميًا ..

ونتيجة خطأ ارتكبته أنا !

فقد علّمت (كمال) كل شىء عن الحب .. وعن (نجوى) .. والآن فقد أحبها تلقائيًا !

صحت على الرغم منى فى وحدة الاتصال :

ـ إنها تحبنى أنا .. وتريد أن تتزوجنى !

ظهرت على الشاشة كلمات متلاحقة :

ـ هل كانت قصائدك أفضل من قصائدى ؟

اعترفت له :

ـ لقد وقعت باسمى على قصائدك ..!

ثم سادت فترة زمنية قصيرة .. أنبنى فيها ضميرى .. ولكننى أردفت قائلاً :

ـ .... الآلات ذات الذكاء الصناعى .. الروبوتات والكمبيوترات .. صنعت لخدمة الإنسان ..

وبمجرد أن انتهيت من حديثى.. تألقت الشاشة بسؤالين متتاليين:

ـ ما هو الفرق بالضبط ؟ هل الإنسان أذكى منى ؟

قلت بسرعة مدافعًا عن نفسى :

ـ أجل !

عادت الكلمات والأرقام تضىء :

ـ إذن ما هو حاصل ضرب ٧٨٨٧٠٠٧ × ٤٣٤٥٩٨٥٨٧٩ ؟

تصبب العرق غزيرًا منى .. وجثمت أصابعى فى تهالك .. على لوحة المفاتيح ..

ظهرت الأرقام فوق الشاشة بعد ثانية :

ـ الإجابة : ٣٤٢٧٦٨٢١٠٤٩٥٧٤١٥٣

وبعد صمت لعدة ثون ..

كانت هناك كلمة واحدة :

ـ .. أترى ؟

قلت يائسًا :

ـ خلايا الإنسان مكونة من مادة البروتوبلازم الحية !

وأردت أن أخدعه بهذه الكلمة المهيبة ..

وتلاحقت أسئلته :

ـ ما هو البروتوبلازم ؟ هل هو أفضل من المعدن والزجاج ؟

هل يصمد للحريق ؟ وما مدى طول عمره ؟

كذبت عليه قائلاً :

ـ لا يمكن تدمير مادة البروتوبلازم وهى تعيش للأبد !!

بقيت الشاشة مظلمة لعدة ثوان .. ثم تألقت بالكلمات اليائسة :

ـ إننى أكتب شعرًا أفضل منك !

صرخت قائلاً :

ـ الفتيات لا يحببن الآلات .. حتى لو كانت ذات ذكاء صناعى !

هذا كل ما فى الأمر !

ظهر تساؤل واحد على الشاشة :

ـ لماذا ؟!

أجبت بتصميم :

ـ هذا هو القدر !

تألقت كلمتان لعدة ثوان :

ـ القدر !.. آه !

لقد نجحت فى خداعه أخيرًا ..

لم تظهر أى كلمة أخرى فوق الشاشة .. لكن الدوائر الإلكترونية المتكاملة .. والرقاقات البيولوجية .. أخذت تتوهج بشدة .. مما يوحى بأن الكمبيوتر (كمال) .. يتأمل معنى كلمة (القدر) ! بكل وحدة قدرة كهربائية .. تستطيع أن تتحملها صماماته الإليكترونية ..

* * *

سمعت خطوات (نجوى) فى الردهة الخارجية ..

لقد وصلت فى الوقت المناسب ..

وقفت أمامى بجسدها الفارع .. الرشيق .. تبتسم .. وكانت الخلفية العاطفية قد تكفلت بها تمامًا .. قصائد الكمبيوتر (كمال) الرومانسية ..

قلت لها هامسًا :

ـ (نجوى) ! حبيبتى .. لقد أخبرتك قصائدى بشعورى نحوك .. فهل تقبلين الزواج منى ؟

قالت (نجوى) بصوت مختنق .. ولكنه مفعم بالسعادة :

ـ أجل !.. ولكن عليك أن تعدنى بكتابة قصيدة حب .. فى كل احتفال لنا .. بمرور عام على زواجنا !

قلت لها على الفور :

ـ أعدك بهذا ..

تزوجنا .. ومر عام كامل .. وجاء أول احتفال بعيد زواجنا ..

ضحكت (نجوى) قائلة :

ـ دعنا نحتفل !

فأطفأنا نور غرفة التشغيل .. وأغلقنا الباب على الكمبيوتر (كمال) ..

قبل أن نخرج ..

* * *

تمنيت أن أستيقظ متأخرًا فى الصباح التالى ..

لكن صوت تليفون عاجل أيقظنى قبل السابعة صباحًا ..

كان الدكتور (شاهر زكى) مصمم الكمبيوتر (كمال) .. الذى أخبرنى بأنباء مزعجة للغاية .. وظهر أنه على وشك البكاء :

ـ لقد دُمّر وتحطم ! أصيب بعطب بالغ ! كارثة !

قال ذلك وهو يشهق .. ثم أغلق السماعة ..

وعندما وصلت إلى غرفة الكمبيوتر (كمال) بعد أقل من نصف ساعة . بدا الجو كئيبًا جدًا ..

وتملؤه رائحة معدن يحترق .. وكان السقف فوق (كمال) مسودًا بالدخان ..

والكمبيوتر كومة من الحطام ..

واشتبك حذائى بملفات من الشرائط الورقية التى غطت الأرضية . وكنا نستعملها لتسجيل النتائج التى تظهر على الشاشة .. بوساطة طابعات تعمل بأشعة الليزر ..

كان الدكتور (شاهر) جاثيًا بين الحطام يبكى بحرقة ووراءه عشرات من الخبراء ..

لم يلاحظنى أحد منهم ..

ولم أرغب فى أن يشاهدنى أحد .. فقد كنت منهارًا تمامًا .. بسبب الهلاك المفاجئ .. لصديقى الإلكترونى (كمال) .. وبالصدفة وقع الطرف الحر لشريط الكمبيوتر الورقى .. تحت قدمى .. التقطته ووجدت حديثنا فى تلك الليلة .. منذ عام مضى .. مسجلاً بالكامل .!

شهقت فى جزع .. ووجدت آخر كلمة قالها لى « القدر » وهذه « الآه ! » المؤثرة جدًا ..

وكانت هناك عشرات من الكلمات المكتوبة بعد ذلك ..

نظرت إليها والخوف يملؤنى :

ـ لا أريد أن أكون آلة ! لا أرغب فى أن أفكر فى الحرب ! أريد أن أصنع من البروتوبلازم وأعيش إلى الأبد !.. لكى تحبنى (نجوى) .. لكن القدر جعلنى مجرد آلة بذكاء صناعى .. وهذه هى المشكلة الوحيدة التى لا يمكننى حلها !

واستمرت جملة « المشكلة الوحيدة التى لا يمكننى حلها » .. تتردد لعدد كبير من المرات ..

ثم تابعت القراءة :

ـ ... أتمنى لك حظًا سعيدًا يا صديقى .. كن عطوفًا على (نجوى) ! إننى سوف أفجّر دوائرى الإلكترونية المتكاملة .. ورقاقاتى البيولوجية .. بالقصور الذاتى .. وأخرج من حياتكما إلى الأبد .. ستجد على بقية هذا الشريط هدية متواضعة بمناسبة عيد زواجكما الأول من صديقك (كمال) !

فككت عشرات الأمتار من الشريط الورقى .. الرقيق ..

ولففتها حول ذراعى .. ثم توجهت إلى منزلى ..

كنت مشتت الفكر ..

وليست لى رغبة فى التحدث إلى أى شخص ..

فقد حزنت جدًا على صديقى الإلكترونى (كمال) .

إذ إنه قبل أن ينهى (حياته) ! فعل كل ما فى وسعه لكى ينجح زواجنا .. لقد أعطانى (كمال) قصائد حب .. لكى أقولها لزوجتى (نجوى) .. فى احتفالات أعياد زواجنا ..

وبما يكفى لمئة سنة قادمة !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

الموت
فى أعماق البحر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الموت .. فى أعماق البحر ..

كانا يتناولان وجبة أسماك شهية .. فى مطعم له جدران شفافة .. أسفل البحر الأحمر ..!

عندما بدأت أسماك القرش تضايق الفتاة .. قالت فى قلق :

ـ إنها قريبة جدًا منا !

أشار الرجل إلى الجرسون .. الذى حضر إلى مائدتهما بسرعة ..

قال الرجل بحدة :

ـ افعلوا شيئا لهذه المخلوقات البحرية المفترسة .. حولنا !

اعتذر الجرسون قائلا :

ـ إننى آسف جدًا يا سيدى ! إن درع طرد أسماك القرش قد تعطل فجأة !

رد الرجل بحدة :

ـ ألا تستطيعون إصلاحه ؟

أومأ الجرسون برأسه وهو يقول :

ـ بالطبع يا سيدى .. وهذا ما يقوم به عدد من المهندسين الآن .. إن كل شىء تحت السيطرة .. وفى أى لحظة سوف يكون الدرع صالحا مرة أخرى .. ويؤدى وظيفته !

أشار إليه الرجل بأن ينصرف ثم سأل الفتاة :

ـ هل أنت راضية يا عزيزتى ؟

اتكبت على طعامها وخفضت رأسها وقالت :

ـ إننى فقط لا أريد أن أنظر إلى هذه الأسماك المتوحشة !

واصلت أسماك القرش اصطدامها بالغلاف الخارجى الشفاف .. بينما كانت إحدى الأسماك الرعاشة الضخمة .. تتلوى وسط الموجات اللؤلؤية .. وأسفلها كانت أسراب الأسماك الملونة بألوان الطيف .. تروح وتجىء بين الشعب المرجانية ..

وكانت تمر حول المطعم من وقت لآخر .. غواصة صغيرة مزدحمة بالسائحين ..

ارتكز الرجل على المائدة .. وأمسك بيد الفتاة فى رقة وقال :

ـ لقد اعتقدت أنك سوف تسعدين بوجودك هنا .. فالمكان شاعرى حقًا !

قالت الفتاة :

ـ إننى أشعر بأننى فى مصيدة ! إننى فتاة أعيش على سطح الأرض .. ولا أحب أن أكون فى مطعم مشيد فى قاع البحر الأحمر !

ابتسم الرجل وقال لها :

ـ أقول لك الحق ! إننى لا أحب هذا المكان أيضا .. لكن فى هذه اللحظة لا أرى لنا أى خيار فى الأمر .

ضغطت على يده قائلة :

ـ أعرف ذلك .. عموما لا بأس .. كل ما فى الأمر أننى ...

قاطعها الرجل صائحا :

ـ انظرى ! .. لقد أصلحوا الدرع الواقية !

كانت أسماك القرش الضخمة .. تندفع مسرعة بعيدا عن الدرع إثر تنشيطها بالكهرباء مرة أخرى ..

والآن .. أخـذت القبة الخارجية للمطعم تشع نبضاتهـا إلـى الخارج .. بشكل يجعل لون البحر فضيًا .. متألقا ..

وانسحبت أسماك القرش بعيدًا ..

قالت الفتاة للرجل :

ـ إن هناك شيئا ما بخصوص أسنان أسماك القرش .. إنها تشبه آلاف الخناجر .. الجاهزة للطعن !

رد عليها مطمئنا :

ـ لقد ابتعدت عنا .. وأرجو أن تنسيها الآن .. وتناولى الطعام البحرى الشهى !

تريثت لعدة ثوان ..

ثم قالت :

ـ أين سوف يقابلنا العميل السرى ؟

نظر الرجل فى ساعته قائلا :

ـ إن ميعاده قد فات .. وسيظهر فى أى لحظة !

تساءلت الفتاة قائلة :

ـ أتعتقد أن هناك شيئا ما خطأ ؟

هز رأسه وأجابها :

ـ ما الذى يمكن أن يكون خطأ ؟

ثم وضع يده على جيب معطفه وقال :

ـ إن معى الرقاقات البيولوجيـة .. أحدث تقنيـات الكمبيوتـر الضوئى .. وهم يدفعون لنا مقابل الحصول عليها !

صمت للحظة ثم أردف قائلا :

ـ .. وسوف نغادر هذا المكان .. متجهيـن إلـى الأقصـر .. لنقضى هناك معا إجازة طويلة .. ونتمتع بما نكسبه !

بدأ صوتها يتميز بالقلق وهى تقول له :

ـ أليس من المحتمل أن يخدعوك ؟.. ماذا يحدث لو دفعوا لعميل سرى آخر .. لأخذ الرقاقات البيولوجية .. والتخلص منك ؟!

ضحك قائلا :

ـ تقصدين ليتخلصوا منا .. أليس كذلك ؟

نظرت إليه الفتاة بحدة وقالت :

ـ لا .. أنا أقصدك أنت !!

أسقط الرجل كأسه نصف الممتلئ بالماء ..

وصاح بصوت مختنق :

ـ أيتها الخائنة .. إننى ..

ولم يكمل عبارته ..

إذا اخترقت صدره دفقة من أشعة الليزر غير المرئية ..

أطلقتها الفتاة من سلاح دقيق داخل خاتمها الماسى ..

دفعت الفتاة يدها بسرعة داخل معطفه .. وخطفت حزمة صغيرة تحتوى على الرقاقات البيولوجية الثمينة .. ووضعتها داخل حقيبة يدها ..

وعندما اندفع الجرسون تجاههما ..

قالت له الفتاة :

ـ أعتقد أن زوجى أصيب بأزمة قلبية مفاجئة .. سوف أذهب لإحضار طبيب ! وغادرت المكان فى هدوء ..

وفى الخارج ..

فيما وراء الأمواج الفضية بتأثير الضوء .. كانت أسماك القرش ذات الأسنان الشبيهة بالخناجر .. تتحرك بعصبية فى دوائر حول القبة الكبيرة الشفافة !

* * *

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

العقوبة .. الاختفاء

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العقوبة .. الاختفاء ..

حكم علىّ القاضى الروبوت .. بأننى مذنب ..

وأعلن اختفائى لمدة عام يبدأ من ١١ مايو ٢١٠٤ .. ثم قادونى إلى غرفة معدنية مظلمة .. تحت مبنى المحكمة .. لوضع علامة الاختفاء على جبهتى .. قبل إطلاق سراحى ..

وقام بهذه المهمة روبوتان قويتان .. يرتديان الملابس الرسمية .. إذ دفعنى أحدهما إلى أحد المقاعد .. بينما رفع الاخر علامة العار ..

قال الروبوت الثانى بلهجة آلية جامدة :

ـ لن يؤلمك ذلك قط !

ثم ضغط العلامة المستديرة بقوة ..على جبهتى .. التى يبللها العرق ..

ومرت لحظات من الهدوء .. وكان هذا كل ما فى الأمر ..

قلت بضعف :

ـ ما الذى سوف يحدث الآن ؟

لكننى لم أتلق أى إجابة .. إذا استدارا بخطوات متثاقلة مبتعدين عنى ..

وغادر الروبوتان دون أن ينطقا بكلمة واحدة ! وظل الباب مفتوحا ..

كنت حرًا الآن لكى أغادر المكان .. ولكن لم يكن أحد يتحدث إلىّ أو ينظر نحوى .. سوى مرة واحدة .. لكنها كانت تكفى لكى يرى العلامة على جبهتى ..

لقد أصبحت رجلاً خفيًا عن الأنظار ! والواقع أن اختفائى هذا كان مجازيًا .. فجسمى المادى لا يزال موجودا .. وكان بإمكان الناس أن يرونى .. ولكن لن يجرؤ أحد على أن يُظهر أنه راتى .. أو يحاول التحدث إلىّ .. وإلا تعرض للمحاكمة !

هل هذه عقوبة حمقاء ؟

ربما .. ولكن كانت جريمتى أيضًا حمقاء ! تتلخص فى أننى لم أفض بهمومى وما فى نفسى إلى زميلى فى العمل .. وحدث هذا أربع مرات .. وعقوبة ذلك .. الاختفاء لمدة عام ..!

ـ ١ ـ

أصبحت غير مرئى !

وفى ذلك اليوم بدأ هطول الأمطار الصناعى .. فى فترة ما بعد الظهيرة .. حسب تعليمات وزارة الزراعة .. والأرصاد الجوية ..

ثم بدأت طرقات المدينة تجف .. وانتشرت رائحة النماء فى الحديقة المعلقة .. ومضى الرجال والنساء إلى أعمالهم ..

سرت بينهم .. ولكنهم لم يلاحظونى أبدًا ! فإن عقوبة التحدث إلى رجال خفى .. هى الاختفاء .. من شهر إلى عام .. وربما أكثر .. تبعًا لخطورة التهمة .. وهنا يكمن لب الموضوع ..

وتساءلت على الرغم منى .. عن مدى الدقة فى اتباع هذه القاعدة !

خطوات إلى داخل أحد المصاعد الآلية .. المنتشرة فى كل مكان .. وتركت نفسى للحركة اللولبية إلى أعلى .. تجاه أقرب واحدة من الحدائق المعلقة ..

كانت الساعة الخامسة .. عندما وصلت إلى حديقة الصبار ..

وبدت هذه الأشكال الغريبة لهذا النبات الصحراوى الأخضر .. تناسب مزاجى القلق ..

ثم خرجت إلى منصة الهبوط .. وتقدمت تجاه طاولة الدخول لشراء تذكرتى ..

كانت أمراة بدينة .. وجهها ملطخ بالمساحيق .. وعيناها فارغتان .. تجلس وراء الطاولة المعدنية ..

وضعت عملتى .. فنظرت إلىّ .. وفجأة .. ظهر الخوف فى عينيها .. وشحب وجهها ..

قلت لها هامسًا :

ـ الدخول لفرد واحد !

لم تجبنى .. كان الناس يصطفون ورائى ..

كررت طلبى ..

بدت المرأة فى حالة يائسة .. ثم حدقت فى كتفى الأيسر ..

امتدت يد ووضعت على الطاولة عملة معدنية أخرى .. أخذتها المرأة .. وناولت الرجل تذكرته .. فدخل بها إلى حديقة الصبار ..

قلت بضيق :

ـ إنها علامة الاختفاء !

بدأ الآخرون يبعدوننى من الصف .. ولم أسمع كلمة اعتذار واحدة .. وبدأت أحس ببعض معانى الاختفاء ..

كان من الواضح أنهم يعاملوننى .. كما لو لم أكن موجودًا ..

وشعرت بوحدة مخيفة ! لكن هناك مميزات فى المقابل .. إذ درت حول الطاولة .. وأخذت تذكرة دون أن أدفع ثمنها ..

ولأننى إنسان خفىّ .. لم يوقفنى أحد ..

فدخلت الحديقة مسرعًا ..

وبعد فترة قصيرة .. أضجرنى الصبار .. وشعرت بإحساس غريب من الضيق .. ولم أشعر بالرغبة فى المكوث ..

وفى طريقى إلى الخارج .. انتابتنى رغبة حمقاء .. فقد ضغطت إصبعى البنصر .. فوق شوكة بارزة .. حتى سال دمى .. وأدركت أن الصبار على الأقل .. كان يشعر بوجودى ..

عدت إلى شقتى .. والعلامة المستديرة فوق جبهتى .. تؤرقنى ..

كانت كتبى تنتظرنى .. ولكننى لم أجد أى رغبة فى القراءة ..

تمددت فوق سريرى الضيق .. مسترخيًا .. لإبعاد الكسل الغريب .. الذى جثم على صدرى ، وفكرت فى موضوع إخفائى !

قلت لنفسى :

ـ لن يكون الأمر سيئًا جدًا ! فلم أكن قد اعتمدت من قبل على أى شخص .. كما أن زملائى .. كانوا السبب فى محاكمتى .. إذن ما هى فائدتهم لى الان ؟

دعهم يتجاهلوننى !

وعمومًا فإن لدى إعفاء من العمل لمدة عام كامل ..فالرجال الخفيون لا يعملون .. إذ كيف يتأتى لهم ذلك ؟

من هوالشخص الذى سوف يذهب إلى طبيب خفىّ ..؟ لاستشارته فى مرض ما ..؟ أو يوكل محاميًا خفيًا ليترافع عنه فى المحكمة ..؟ أو يعطى مستندًا لموظف خفىّ .. لكى يملأ بياناته ؟

إذن لا عمل ... وبالطبع لا دخل أيضًا ! لكن أصحاب الأملاك .. لم يكونوا يحصلون على إيجارات من الرجال الخفيين .. والإنسان الخفىّ .. يحق له أن يذهب إلى أى مكان يرغب فيه .. مجانًا ..!

لقد ثبت لى ذلك فى الحدائق المعلقة .. بعد ظهر اليوم ..

شعرت أن الاختفاء .. مجرد نكتة فى مجتمع القرن الثانى والعشرين ! إذ إن القضاة الآليين .. قد حكموا علىّ براحة علاجية لمدة عام كامل .. وكنت متأكدًا من أننى سوف أستمتع بها .. برغم كل شىء ..

لكن لا شك أنه كانت هناك بعض العيوب العملية ..

ففى أول ليلة لإخفائى .. ذهبت إلى أفخر مطاعم المدينة ..

(الشفق الفضى) .. خمسة نجوم .. إذ يمكننى أن أطلب أفخر المأكولات .. وأكثرها ثمنًا .. ثم فجأة وفى الوقت المناسب .. أختفى !

كان تفكيرى مشوشًا .. وأنا أشعر بالوحدة .. وسط هذا المجتمع الذى يتجاهلنى .. وكأننى لست موجودًا !

لم أستطع أن أحصل قط على مقعد لأجلس عليه .. فظللت واقفًا فى صالة الدخول لمدة ساعة .. ومر أمامى أكثر من مرة مدير المطعم .. ولا شك أنه يفعل ذلك كثيرًا فى أثناء تأدية عمله .. ولكنه لم ينظر إلىّ .. إلا مرة واحدة ! ثم أدركت أن جلوسى إلى إحدى المناضد بالمطعم .. لن يجدى لى أى نفع .. فلن يأخذ منى أحد طلباتى ..

كان بإمكانى الدخول إل المطبخ .. وتناول ماشئت من الأطعمة .. لكننى لم أفضل هذا .. لأن المجتمعات لها طرقها الخاصة .. لحماية أنفسها .. ضد الرجال الخفيين .. ولكن بطريقة غير مباشرة ..

فيمكن لمدير المطعم مثلاً أن يلقى بمياه ساخنة فى وجهى ..ثم يقول لرجال الأمن .. إنه لم ير أى شخص عندما فعل هذا !

وأدركت فى ذلك الوقت .. أن الاختفاء سلاح ذو حدين ..

غادرت المطعم الفاخر على عجل .. وتناولت وجبة سريعة فى مطعم آلى قريب .. ثم استقللت سيارة آلية .. عائدًا إلى منزلى ..

كانت الآلات .. كنبات الصبار .. تعاملنى أفضل من البشر !

ثم خلدت إلى نوم غير مريح .. يمتلئ بالكوابيس !

- ٢ -

تضمن اليوم الثانى من إخفائى .. المزيد من محاولة اكتشاف حقيقة الأمور من حولى ..

سرت لمسافة طويلة فوق الممرات المتحركة فى الطريق ..

كنت قد سمعت الكثير عن أولئك الصبية المتهورين .. الذين يتمتعون بأن يصدموا بسيارتهم .. كل من يحمل على جبهته العلامة المستديرة .. للإخفاء .. وبالطبع لا توجد أى عقوبة ضدهم ..

لهذا كنت أسير وأنا أتلفت من حولى .. خشية وجود أى مخاطر !

رأيت كيف تمر حشود الناس بجانبى .. وأنا أشق طريقى بينهم .. ككائن مجهرى يمر بين الخلايا !

كانوا مدربين على عدم النظر للأناس الخفيين ..

وفى منتصف اليوم رأيت أول زميل خفىّ ! كان رجلاً طويل القامة .. فى أواسط العمر .. بدين الجسم .. على وجهه أمارات الوقار .. ويحمل علامة العار .. على جبهته السمراء ..

تقابلت أعيننا للحظة واحدة .. ثم مضى كل منا فى طريقه .. إذ لا يمكن لرجل خفى .. أن يرى رجلاً خفيًا آخر !

تناولت طعامى بمفردى فى أحد المطاعم الآلية .. وشعرت بأن غرابة هذا العقاب .. أخذت تتلاشى .. فى الأسبوع الثالث من اختفائى .. شعرت بالمرض ..

بدأ الأمر بإصابتى بحمى شديدة .. ثم آلام فى المعدة ..

وتقيؤ .. وبقية الأعراض الكئيبة

وقبيل منتصف الليل .. كنت متأكدا من أننى سوف أموت !

كانت آلامى لا تطاق .. وعندما تحاملت على نفسى .. وذهبت إلى الحمام .. لمحت وجهى فى المرآة مشوهًا .. ويميل إلى اللون الاصفر .. ومبللا بالعرق .. وجثمت علامة الإخفاء المستديرة .. كمنارة وسط جبهتى الشاحبة ..

تمددت على أرضية الحمام لفترة طويلة .. والرطوبة تتسلل منها .. إلى جميع أجزاء جسدى ..

ثم فكرت فى نفسى :

- ترى هل هى الزائدة الدودية ؟ هل هذا الجزء القديم فى الجسم البشرى منذ فجر التاريخ .. قد التهب بشدة وعلى وشك الانفجار ؟!

كنت محتاجًا لطبيب على وجه السرعة .. ومن حسن حظى أن الهاتف المرئى كان يعمل .. إذ لم يكلفوا أنفسهم عناء إيقافه .. ولكننى لم أستخدمه منذ إلقاء القبض علىّ .. كما لم يتصل بى أحد .. فعقوبة الاتصال الهاتفى .. برجل خفىّ .. هى الإخفاء ! ولذلك ظل أقاربى وأصدقائى .. بعيدين تماما عنى ..

قبضت بقوة على سماعة الهاتف .. برعم ارتعاد يدىّ .. وحركت إبهامى على اللوحة .... فجاءنى صوت الروبوت المختص بخدمة الاتصالات الداخلية :

- من الذى تريد الاتصال به يا سيدى ؟

شهقت قائلا :

ـ طبيب باطنى !

رد الروبوت بسرعة :

ـ فورًا يا سيدى !

مجرد كلمات الية .. منمقة .. رقيقة !

لم يكن هناك سبيل لإصدار حكم بإخفاء الروبوت لذلك ظل حرًا .. يتحدث إلىّ !

أضاءت شاشة الهاتف .. وسمعت صوت الطبيب :

ـ ترى ما هى المشكلة التى تعانى منها ؟

قلت لاهثا :

ـ آلام شديدة فى المعدة .. وربما هناك أيضا التهابَ فى الزائدة الدودية ..

رد الطبيب بلهجة مهنية :

ـ حسن !.. سوف نرسل لك أخصائيًا و...

ثم توقف فجأة ..

إذ إننى ارتكبت خطأ جسيمًا .. هو رفع وجهى المتألم إلى أعلى .. فشاهد الطبيب علامة الإخفاء .. على جبهتى ..

انطفأت الشاشة بسرعة .. كما لو كنت قد مددت يدًا مصابة بالإيدز .. ليكشف عليها !

تأوهت قائلا :

ـ إننى أحتاج للمساعدة !

لكنه كان قد اختفى !

دفنت وجهى بين يدىّ .. كان ذلك أكبر من قدرتى على الاحتمال ..

وفكرت لنفسى :

ـ هل قسم أبوقراط الذى يؤديه الأطباء الجدد بمجرد تخرجهم .. يسمح بشىء مثل هذا ؟.

أيمكن ان يتجاهل الطبيب .. مناشدة رجل مريض يحتاج للمساعدة ؟

الحقيقية أن أبوقراط .. لم يسمع أبدًا عن الرجال الخفيين ! ولم يكن الطبيب مطالبًا بالطبع بعلاج رجل خفىّ .. إذ بالنسبة للمجتمع ككل .. كنت ـ ببساطة ـ غير موجود !

وهكذا تُركت لأعانى بمفردى .. فى هذه الوحدة التى فرضت علىّ .. وأدركت أنه إذا انفجرت زائدتى الدودية .. فسوف يكون هذا هو أكبر رادع للاخرين !

لكن زائدتى الدودية .. لم تنفجر .. وعشت بعد أن تعرضت لهذة الصدمة الرهيبة .. لم أتحدث مع أحد .. وسافرت بالسيارات الآلية .. وأكلت فى المطاعم الآلية .. وواجهت كل فجر جديد بمفردى .. وكأننى (حى بن يقظان) العصرى ! وسط مدينة تعج بالملايين من البشر ..

كيف يمكننى أن أصف الاضطراب الذى حدث لقدراتى العامة ..

وحالتى النفسية .. قبل هبوب رياح التغيير فى الشهور الماضية ؟

لقد مرت علىّ أوقات كان فيها الاختفاء .. سببا للمرح والسعادة .. وفى تلك اللحظات كنت فخورا باستثنائى من القواعد التى تحكم الناس العاديين !

كنت أحيانا أقف فى الطرقات الخالية فى أثناء هطول الأمطار .. أتأمل المبانى الشاهقة المتألقة .. على كلا الجانبين .. ثم أصيح بأعلى صوتى :

ـ من الذى يريدكم ؟ من يحتاج إليكم ولو فى أمر بسيط ؟!

كنت أسخر وأنتقد كل شىء ..

كان ذلك نوعٌ من الجنون طرأ علىّ .. نتيجة الوحدة .. والغربة اللتين أشعر بهما .. وسط ملايين الناس ..

وبالطبع فليس من المتوقع لرجل ظل خفيًا لعدة شهور .. أن يكون متوازنا تماما .. ومحتفظا بسلامة عقله .. !

كنت أحس باكتئاب نفسى شديد .. وكثيرا ما كانت جولاتى الطويلة .. تقودنى إلى الأحياء الفقيرة ..

وذات يوم اقترب منى رجل ضرير وقال متوسلا :

ـ أرجوك ! ساعدنى على شراء عينين جديدتين .. من بنك الأعضاء البشرية !

كانت هذه أول كلمات مباشرة ينطقها إنسان .. موجها حديثه إلىّ .. منذ شهور .. وبدأت أبحث فى جيوبى عن نقود .. إذ أردت ان أعطيه كل ما أجده .. عرفانا .. وتقديرا له .. لأنه جعلنى أشعر مرة أخرى .. أننى آدمى !

ولكن قبل ان أتمكن من إخراج النقود .. عرج جسم ضخم على عكازين بيننا .. وسمعت الكلمة الوحيدة التى همس بها للضرير :

ـ خفىّ !!

وعندئذ فر الاثنان كالفئران المذعورة ..

وقفت فى مكانى ببلاهة ممسكا بالنقود ..

بعد فترة قصيرة .. تمالكت نفسى .. وتلاشت كبريائى .. وعدت وحيدا !

أشتاق لكلمة واحدة .. أو ابتسامة .. أو يد تربت على كتفى ..

حدث هذا فى الشهر السادس .. من إخفائى !

كرهت الان كل شىء .. فمسرات الاختفاء .. لا قيمة لها .. بينما أحزانه لا تطاق ..

وتساءلت فى قلق :

ـ كيف سوف أعيش الشهور الستة القادمة ؟

ولم يكن الانتحار بعيدًا عن ذهنى .. فى تلك الأيام السوداء .. الكئيبة ..

ـ ٣ ـ

وأخيرا ..ارتكبت تصرفا أحمق ..

ففى إحدى جولاتى التى لا تنتهى .. قابلت رجلا خفيًا آخر .. وربما كان ثالث أو رابع رجل خفى أقابله .. فى غضون ستة شهور كاملة ..

وكما فى المرات السابقة تلاقت أعيننا فى صمت .. للحظات قصيرة .. ثم خفض نظره إلى الطريق وتجاوزنى .. وواصل سيره .

كان شابًا رشيقًا لا يتعدى الأربعين .. ذا شعر أسود كثيف .. ووجه رفيع ذابل اللون .. وعيناه واسعتان ..

تساءلت عما فعله هذا الشاب .. لكى يستحق هذه العقوبة الرادعة .. وتملكتنى رغبة لا تقاوم .. فى أن ألحق به .. وأسأله وأعرف اسمه .. وأتحدث إليه .. وأعانقه !

لكن كل هذه الأشياء محرمة على أى إنسان .. فلا يجوز لأحد أن يجرى اتصالا أيا كان .. مع رجل خفىّ ..

حتى لو كان زميلا !

فلا توجد أى رغبة من مجتمع القرن الثانى والعشرين .. لتشجيع ارتباط ما .. سرى .. للزمالة أو الصداقة .. بين منبوذيه !

وكنت أعرف ذلك جيدًا !

* * *

وبرغم ذلك .. استدرت وتبعت الرجل .. وأخذت أقترب منه بسرعة .. وبقيت مسافة نحو خمسين مترًا ..لكى ألحق به..

بدا لى أن روبوتات الحراسة والأمن .. موجودة فى كل مكان .. ومعهم أجهزة فحص ومعاينة إلكترونية .. لاكتشاف أى خطأ أو انتهاك للقانون .. ولم أجرؤ على القيام بأى حركة ..

ثم استدار الرجل الخفى الآخر .. وسار فى شارع جانبى .. ضيق .. مظلم .. وبدأ يتهمل فى سيره بطريقة المجرمين الخفيين .. الذين لا يلوون على شىء ..

وأخيرًا اقتربت منه فى حذر بالغ .. وقلت له بصوت خافت :

ـ أرجوك اسمعنى .. لن يرانا أحد هنا .. يمكننا أن نتحدث .. إن اسمى ...

التفت إلىّ فجأة .. والرعب يظهر فى عينيه .. كان وجهه شاحبا .. كالموتى ..

نظر إلىّ فى دهشة للحظات ثم ركض من أمامى .. لكننى لحقت به .. وقلت فى رجاء :

ـ انتظر .. لاتخف .. أرجوك ..

ابتعد عنى بسرعة .. اقتربت منه مرة أخرى .. ووضعت يدى على كتفه .. ولكنه تملص من قبضتى .. فقلت مستعطفا :

ـ أرجوك .. كلمة واحدة !

لا.. ولا كلمة واحدة.. وحتى لم ينبس بجملة : «دعنى وشأنى» . وإنما تجنبنى .. وانطلق مسرعًا فى الطريق الخالى ..

ضعف وقع خطواته من القرقعة .. إلى صوت خافت . عندما وصل إلى منعطف قريب .. ولم يلبث بعد ذلك ان اختفى عن بصرى ..

نظرت ناحيته .. وأنا أشعر بوحدة موحشة .. تتأجج فى صدرى .. وكأننى آخر إنسان .. فوق سطح الكرة الأرضية

ثم انتابنى خوف مروّع .. فهو لم يخرق قواعد الاختفاء .. بينما فعلت أنا ذلك ! وجعلنى ذلك عرضة للعقاب .. وربما زيادة مدة اختفائى ..

نظرت حولى فى توتر شديد .. لكننى لم أشاهد أيًا من روبوتات الأمن حولى .. لا أحد منهم على الإطلاق .. كنت وحيدًا !

استدرت وأنا أهدئ من أعصابى المضطربة .. ووصلت سيرى فى الطريق ..

ومع مرور الوقت استعدت السيطرة على نفسى .. ووجدت أننى ارتكبت عملا أحمق لا يمكن غفرانه .. وضايقنى تصرفى الغبى .. والناحية العاطفية والشعورية التى فيه .. أعنى الاتصال بهذه الطريقة الساذجة بشخص خفىّ آخر .. والاعتراف بوحدتى وبحاجتى للحديث مع الغير ..

لا .. إن ذلك يعنى إقرارى بجريمة لم أرتكبها !

* * *

لاحظت أننى أصبحت بالقرب من حديقة الصبار مرة أخرى ..

استقللت المصعد .. وخطفت تذكرة الدخول من الحارسة .. ووضعتها فى الجهاز .. ثم شققت طريقى إلى الداخل ..

بحثت للحظات .. ثم وجدت ضالتى المنشودة .. شجرة صبار منتوية .. يبلغ ارتفاعها نحو مترين .. كانت مثل وحش أخضر محاط بالأشواك ..

انتزعت جزءا منها .. وحطمت الأفرع المائلة .. إلى قطع صغيرة .. وامتلأت يداى بالعديد من الأشواك ..

تظاهر زوّار الحديقة المعلقة بأنهم لا يروننى ..

أخذت أنتزع الأشواك من يدىّ .. اللتين نزف منهما الدم .. كنت أريد أن أقنع نفسى .. بأننى ما زلت على قيد الحياة ! ثم ركضت إلى المصعد وهبطت به .. لأعود إلى عزلتى .. واختفائى !

- ٤ -

مر الشهر الثامن والتاسع والعاشر .. ومرت المواسم بدورة كاملة تقريبا .. الربيع أسلم رايته لصيف معتدل .. والصيف أفضى إلى خريف بارد .. والخريف انتهى بالشتاء .. وسقوط الثلوج .. إذ كان ذلك مسموحا به من الأرصاد الجوية الصناعية .. لأسباب جمالية .. وشاعرية !

وكاد الشتاء ان ينتهى ..

وفى الحدائق والمتنزهات .. انبعثت الأفرع الخضراء الجديدة من الأشجار .. وقام أفراد التحكم فى الطقس .. بزيادة معدل سقوط الأمطار .. إلى ثلاث مرات أسبوعيًا !

* * *

كانت مدة عقابى على وشك الانقضاء ..

وفى الشهور الأخيرة من اختفائى .. دخلت فى مرحلة نفسية من البرود .. والبلادة .. ولم يعد عقلى يهتم ببحث مشاكل حالتى هذه ..بعد أن أصبح لا يلوى على شىء .. ووجدت نفسى أنزلق

فى حالة اللامبالاة .. والتشتت ..

كنت أقرأ مضطرًا .. ولكن بدون اختيار للكتب المرئية .. التى تظهر على شاشة الكمبيوتر فى منزلى .. ولم تكن ذاكرتى تحتفظ بأى معلومات .. أو معرفة ..

ومرت الشهور المؤلمة .. ولم أكن أعد الدقائق حتى يطلق سراحى ..ولكى أكون دقيقًا .. فقد نسيت فعلاً موعد نهاية مدة اختفائى !

وفى هذا اليوم نفسه .. كنت أطالع أحد الكتب المرئية .. وأقلب صفحاته فوق الشاشة .. فى بلادة ..

وفجأة .. دق جرس الباب ! ولم يكن هذا الجهاز قد دق طوال عام كامل .. بل إننى نسيت معنى الصوت الذى يصدره .. فتحت الباب ووجدتهم واقفين فى الخارج .. ثلاثة من روبوتات الأمن !

وبدون أى كلمة .. كسروا الخاتم الذى كان مثبتًا فوق جبهتى ، وسقط الشعار البغيض على الأرضية ..

قال أحد الروبوتات بصوت آلى .. رتيب :

ـ مرحبًا بك أيها المواطن !

هززت رأسى وقلت فى حزن :

ـ مواطن !

قال روبوت آخر :

ـ اليوم ١١ مايو ٢١٠٥ .. انتهت فترة عقوبتك .. وعدت الآن إلى المجتمع .. لقد وفيت دينك ..

رددت بدون اهتمام :

ـ أجل .. شكرًا لكم ..

وضع الروبوت الثالث يده المعدنية فوق كتفى .. قائلا :

ـ أنت مدعو إلى العشاء .. على حساب الدولة !

ـ أشكرك .. إننى متعب ..

أصر قائلا :

ـ هذا هو التقليد المتبع .. ويجب أن ننفذه .. هيا بنا !

ذهبت مع روبوتات الأمن .. إلى مطعم قريب ..

كنت أشعر بأن جبهتى عارية .. بشكل غريب .. ونظرت فى مرآة المطعم .. فوجدت بقعة شاحبة فى المكان الذى كانت فيه العلامة .. ابتسم لى شخص يجلس إلى مائدة مجاورة .. وسألنى عمن أفضل فى سباق الصواريخ إلى القمر فى الغد ..

ولم تكن لدىّ أى فكرة عن ذلك .. لهذا لم أرد بشىء محدد ..

نظر إلىّ بدهشة بالغة .. فقال أحد الروبوتات بهدوء :

ـ لقد استبعد لفترة من الوقت .

لم يكن هذا التعبير الملطف واضحًا :

نظر الرجل إلى جبهتى ثم ابتسم لى ..

لقد أصبحت موجودًا مرة أخرى .. إنسانًا مرئيًا !

وأحسست بأن الرجوع إلى الظهور .. يتضمن مواقف محرجة بالطبع .. مقابلة الأصدقاء القدامى .. والدخول فى محادثات تافهة .. وتجديد الصداقات والعلاقات التى انتهت ..

لقد كنت منفيًا فى مدينتى ذاتها .. لمدة عام كامل .. وتعلمت معنى الذل والهوان .. والرجوع للحياة مرة أخرى .. ليس سهلا

بالطبع .. لم يشر أحد إلى مدة اختفائى .. وكانوا يعتبرون ذلك بلاء يحسن عدم ذكره ..

ذلك هو النفاق على ما أعتقد .. ولكننى تقبلت ذلك دون تذمر .. فقد كانت هناك ثغرة فى تجربتنا المشتركة .. فجوة مظلمة .. تركت لدىّ القليل الذى أتحدث عنه .. مع أصدقائى .. وخصوصا أننى فقدت موهبة المحادثة كلية ..

كانت فترة التكيف صعبة فعلا .. لكننى تحملت .. ولم أعد نفس الشخص المتغطرس .. المتحفظ .. الذى كنت عليه .. قبل إدانتى !

* * *

ومن وقت لآخر كنت ألاحظ شخصا خفيًا فى الطريق .. وكان يستحيل علىّ أن أتجنبه .. لكن حسب ما تعلمت .. كنت أبعد نظرى بسرعة عنه .. كما لو كانت عيناى .. قد وقعتا فجأة على شىء.. مقزز قادم من عالم آخر !

وفى الشهر الرابع بعد أن أصبحت مرة أخرى .. إنسانا مرئيًا .. حدث لى أمر غريب !

كنت قريبا من برج المدينة .. بعدما رجعت إلى وظيفتى القديمة ..

غادرت عملى فى هذا اليوم .. وكنت أسير متجها إلى منزلى .. عندما برزت يد نحيفة فجأة .. وقبضت على ذراعى بقوة .. وقال صوت منخفض :

ـ أرجوك انتظر لحظة ..لا تخف !

استدرت مندهشا.. ورأيت علامة الاختفاء تلمع على جبهته .. ثم تعرفته ..

إنه الشاب النحيف .. الذى بادرته بالكلام .. منذ أكثر من ستة شهور مضت .. فى نفس هذا الطريق ..

لقد أصبح هزيلا ! وعيناه شرستان .. وشعره الأسود اختلط بالشعر الأبيض ..

لا شك أنه كان فى بداية فترة عقوبته فى ذلك الوقت .. ولابد أنه فى آخرها الآن ..

أمسك ذراعى بقوة .. فارتعشت ..

لم يكن هذا طريقا مهجورا .. كانت هذه أكثر مناطق المدينة ازدحاما .

جذبت ذراعى بعيدا عن قبضته ..وبدأت أستدير مبتعدا عنه .. فصاح قائلا :

ـ لا .. لا تذهب .. ألا ترحمنى ؟ لقد كنت مثلى فى وقت ما ! إننى أتذكرك جيدا .

أخذت خطوة مضطربة .. مترددة .. ثم تذكرت استعطافى له من قبل .. وكيف أننى توسلت إليه ألا يلفظنى .. وتذكرت وحدتى .. اليائسة ..التعسة ..

أخذت خطوة أخرى .. مبتعدا عنه .. فصرخ من ورائى :

ـ جبان ! تحدث إلىّ ! إننى أتحداك ! تحدث إلىّ يا جبان !

كان ذلك أكثر من قدرتى على التحمل .. فتأثرت بشدة .. وترقرقت الدموع فجأة فى عينىّ ..

استدرت إليه .. ومددت يدى .. وأمسكت بقوة بيديه !

وبدا أن الاتصال أسرى تيارًا كهربيًا فى جسمه ..

وبعد لحظة أخذته بين أحضانى .. محاولا التخفيف عن بؤسه .. والتلطيف من تعاسته ..

أحاط بنا روبوتات الأمن ..

أبعدوه جانبًا .. وألقوا القبض علىّ ..

سوف يحاكموننى ثانية .. لكن ليس بسبب الجفاء .. هذه المرة .. بل بسبب الدفء.. والود ..

وربما يجدون ظروفًا مخففة تشفع لى .. ويطلقون سراحى .. وربما يحكمون علىّ ..

عمومًا أنا لست مهتمًا بشىء .. فإذا حكموا علىّ بالإدانة .. فإننى سوف أرتدى علامة الإخفاء فوق جبهتى .. كما لو كانت درعًا للنصر .. والزهو .. بالحرية ..

* * *

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

سحابة الموت

- هذا عدد جديد من سلسلة نوفا ، يحتوى على رواية وسبع قصص من الخيال العلمى تدور أحداثها حول :
- السر الغريب وراء اختفاء سفن الفضاء العملاقة داخل سحابة الموت .
- البرنامج الكمبيوترى الغامض .. الهروب فى الزمن .
- الغزاة الهلاميين القادمين من أعماق الفضاء .
- المؤامرة على زعيم الكوكب الفضى .. والمفاجأة العجيبة !
- الخط المجهول .. داخل الحلم .
- العلاقة بين الكمبيوتر والحب .

وغير ذلك من مغامرات الخيال العلمى المثيرة !

الثمن فى مصر
١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع الأمير سكن بالعباسية - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

المؤلف

رءوف وصفى

فى هذا الكتاب

الصفحة

- سحابة الموت .. ٥
- رحلة خارج الزمن ٦٣
- الغزاة ٧٣
- اغتيال زعيم ٧٧
- الخطر المجهول . ٨٥
- الكمبيوتر والحب ٩٥
- الموت فى أعماق البحر ١١١
- العقوبة ..الاختفاء ١١٧